تبرئـــــــة الحَـبْر الرّبّانـــــي

مـــن شُبـــــه

عبـــد القـــادر الإسكندراني

الصّعقة المكّية في دحض النّفحة الزّكيّة

لأبي عبد الإله البجائي

قِفنْ واسألنْ عن عالمٍ حلّ سَوْحَها به يهتدي من ضلّ عن منهج الرُّشْدِ

محمد الهادي لسُنّة أحمدٍ فيا حبَّذا الهادي و يا حَبَّذَا المهْدِي

لقد أنكرت كل الطوائف قوله بلا صَدَر في الحق منهم ولا وِرْدِ

وما كان قولٌ بالقَبول مُقابلٌ ولا كلُّ قولٍ واجبِ الطَّرْدِ والرَّدِ

سِوى ما أتى عن ربّنا ورسولِه فذلكَ قولٌ جلَّ يا ذا عن الرَّدِ

وأما أقاويل الرّجالِ فإنّها تدورُ على قدر الأدلة في النّقدِ

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه يعيد لنا الشرع الشريف بما يُبدِي

وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ومبتدع منه فوافق ما عندِي

ويعمر أركان الشريعة هادماً مشاهد ضلّ النّاس فيها عن الرُّشدِ

أعادوا بها معنى سواع ومثله يَغُوثَ وَ وُدٍّ بئسَ ذلك مِنْ وُدُّ

بسم الله الرحمن الرّحيم

المقدّمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾.

أمّا بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهُدى هُدى محمّد—صلّى الله عليه وسلم-، وشرّ الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكلّ ضلالة في النار.

أمّا بعد:

فإنّ من تمام غيرة المسلم على دينه، المسارعة للذبّ عليه وإلى الدّفاع على من يخدمه من حملة العلم والآثار، ونقلة الفقه والأخبار، من عسكر الإيمان، أهل السُّنّة والقرآن، وبيان زيف الشُّبه التي أُلْبِسُوها، والافتراءات التي هم برآء عنها، من شُبه الضّالّين، وتلبيسات المارقين عن الدِّين، من شياطين الإنس وسحرتهم، وهذا هو دَيدَنُ هؤلاء في كلّ زمان ومكان، في كلّ حين وآن، كيف لا وهم أعداء الله ورسله، حتّى إذا قابَلتْ بصيرَتُهم الْخُفَّاشِيَّة ما بعث الله به مُحمّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من النُّور،

جَدُّوا في الهرب منه، وكاد نُورُه يَخْطِفُ أبصارهم، فهربوا إلى ظُلماتِ الآراء الَّتي هي بهم أنْسبُ وأولى، كما قِيل:

خفَافِيشُ أَعَشَاهَا النَّهَارُ بِضَوْئِهِ وَ وَافَقَهَا قِطْعٌ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمُ

فإذا جاءوا إلى زُبالة الأفكار ونُحاتَة الأذهان، جَالوا وصالوا، وأبدوا وَأعادوا، وقَعْقَعوا وفرقعوا، فإذا طلع نور الوحي وشَمْسُ الرِّسالة، انْحَجَروا في أحجِرة الحشرات، فهم أصحاب الظُّلمات المُنْغَمِسون في الجهل الذي أحاط بِهم من كلّ وجهٍ، فهم بِمنزلة الأنعام بل هم أضلُّ سبِيلًا، فهؤُلاء أعمالُهم التي عمِلوها على غير بَصِيرةٍ بل بِمُجرَّد التَّقليد واتِّباع الآباء، كانت من غيْر نُور من اللَّه تَعَالَى، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نورٍ.

ومن هؤلاء الأئمّة الأعلام، ومصابيح الدُّجي في دياجير الظّلام، الإمام الهمام، شيخ الإسلام والمسلمين، مجدّد الدّعوة والدّين، محمّد بن عبد الوهّاب بن سليمان التّميمي-رحمه الله-، الذي نال الحظّ الأكبر، والنّصيب الأوفر، في السّبّ والشّتم، والطّعن واللّعن، في هذا العصر.

وما حمل القوم على ذلك إلّا داعي الهوى والتّشهّي، والهوى كثيرًا ما يُعمي ويَصُمّ صاحبه، كما أنّ للحسد دورًا في تلك المجابهة كما قيل:

حَسَدُوا الفَتَى إذْ لم يَكُونُوا مثلَهُ فَالقَومُ أعدَاءٌ لَهُ وَ خُصُومُ

ولا يسعنا أن نقول في هذا المقام، إلّا كما قالت أمُّنا أمّ المؤمنين، الصّدّيقة بنت الصدّيق -رضي الله عنهما-لما قيل لها أنّ بعض النّاس يقولون في أبي بكر وعمر —رضي الله عنهما-: "الحمد لله الذي أبى إلّا أن يُتمّ حسناتهما من بعد موتهما".

فَهُمُ البُدُورُ وَ لكنْ لَا أُفولَ لهمْ بلْ الشُّمُوسُ وَقَدْ فَاقُوا بِنُورِهِمِ

لَمْ يَبْقَ لِلشَّمْسِ منْ نُورٍ إذَا أَفَلَتْ وَنُورُهُم مُشْرِقٌ مِنْ بَعْدِ رَمْسِهِمِ

فمنذ أيّام قلائل وقفت على مسودّةٍ، قد عُرضت في معرض الكتاب الدّولي، الذي يُقام في كلّ عامٍ ببلدنا الجزائر –صانها الله من كلّ التربُّصات والدّوائر–، يردُّ فيها صاحبها الإسكندرانيّ على الفرقة الوهّابيّة، وما لهم من شُبهٍ –زعم–وتلبيساتٍ على البريّة، الموسومة "بالنّفحة الزّكيّة"، وما هي إلّا الطّعنة الخفيّة، في صدور النّفوس الأبيّة، وبئست الطويّة.

قامت بعرضها المكتبة الفلسفيّة الصّوفية، التي يظهر مُبتغاها، ويلوح مكنونها، من مفردات مُسمّاها، فلمّا وقع بصري عليها، وقفت عندها سائلًا ذلكم العارض عن مقصود هذه المسودّة، فأجاب معتذرًا، أنّه لا يعلم مكنونها، ولا يدري ما قد هَرِف به مجنونُها، وما هو إلّا بائعٌ أو وكيلٌ عنها ليس إلَّا، فأحسنتُ الظّنّ به، وقُمتُ بنصحه وإرشاده، ألّا يبيع ما لا يعلمه، فيغبن النّاس الذين وضعوه في محلّ الثّقة، ويغدر بهم في موطن الائتمان.

فانصرفت عنه بعد هذا، غير أنّي لم أقتني الكتاب لأتصفَّحه، وأعلمَ ما فيه من ضلالاتٍ، لأنّي أدركتُ من عنوانه، الشّيء الّذي سُوِّد فيه.

ولما التقيت بأحد الإخوة الأفاضل، تحدّثنا عن هذه المسودّة، فوجدته قد اقتناها، وتصفّح شيئًا من ضلالها، فطلبتها منه–جزاه الله خيرًا–فأعطانيها، وطلب منّي أن أبحث عن ردود العلماء على تلك الشُّبه وما قد فنّدوها به، رجاء أن يستفيد معي في هذا البحث المتواضع، فأجبته إلى ذلك، رجاء الاندراج في تلك المسالك، فأردتُ أن أُسْهِمَ بِسَهمي، وأُدْلِيَ بِدَلْوي، عسى الله أن يُجنّبنا سُبل الرّدى والمهالك.

فقد سألني إيّاه من لابدّ لي مِنْ امْتِثَالِ سُؤْلِهِ المُمْتَثَلِ

فَقُلْتُ مَعْ عَجْزِي وَمَعْ إِشْفَاقِي مُعْتمِدًا عَلَى القَدِيرِ البَاقِي

يا ابن الشّمطاء، ويا أخ الفِعلة اللّخناء، أنهيقٌ وعُواء، وخوار وثُغاء، وصياحٌ ونباحٌ وهُراء، يا سخيف السُّخفاء، يا عديمًا للحياء، غياياء طباقاء، كلّ داءٍ لك داء، يا أب الأدواء.

اخسأ خبيثًا خِزايةً لا تنفدُ أعَليَّ تُبرقُ يا زنيمُ و تُرعدُ

وتقولُ زورًا يا لقيطُ و تكذبُ

أتريدُ أن تضع الحبيبَ محمّدًا عن قدره فاخسأ فذلك يصعبُ

أحقيرُ شَأْنٍ وَاضِعٌ مِنْ قَدْرِ مَنْ وَصَلَ البِنَاءَ فَتَمَّهُ يَا مَرحَبُ

فلتقل ما تشاء فالحقّ أبقى، والمحيط العظيم ماذا عليه من سفيهٍ، إذا السّفيه رماهُ، هل تظنُّ أنّ كلامك فيه بطعنٍ وقدحٍ بغير حقٍّ يضرّ هذا الإمام بشيء، أم سَوّلَ إليك شيطانُك أم سوَّلْتَ إليه، أنّك بهذا وحيدُ عهدك وفريد عصرك، وقد فُقْتَ أقرانك، والذي رفع السّماء بغير عمدٍ تراها، ما ألحقت به ضرارًا، إلَّا بقدر ما قد قيل في أمثالك:

مَا ضَرَّ نَهرَ الفُراتِ يَومًا أنْ خَاضَ بعضُ الكِلابِ فيهِ

أتظنّ أنّك قادرٌ على النّيل من هذه الدّعوة المباركة، التي نفع الله بها العباد والبلاد، في المعاش والمعاد، أم كنت تهرف بما لا تعرف، وتهذي بما لا تدري، لا أنت من العير ولا أنت من النّفير.

هَلْ رُمْحُكَ المهْزُوزُ إلَّا إبْرَةٌ أَمِنَ الضَّعِينُ بِهَا مِنَ الإِدْمَاءِ

خُذْ مَهْرَ بِكْرِكَ لَا أُرِيدُ سِفَاحَهَا لَيْسَ السِّفَاحُ بِشِيمَةِ الكُرَمَاءِ

أي أشيمِط:

كَمْ قَدْ قَتَلْتُكَ بِالهِجَاءِ وَ لَمْ تَمُتْ إنَّ الكِلَابَ طَوِيلةُ الأَعْمَارِ

يَا ابنَ الخَبِيثَةِ مَنْ أَهْجُو فَأَفْضَحُهُ إذَا هَجَوْتُ وَمَا تُعْزَى إِلَى أَحَدِ

إِخْسَأْ رَقِيعُ فَمَا أَرَاكَ مُؤَهَّلًا أَنْ تَكُونَ نَعْلًا لِلْإِمَامِ الأَشْرَفِ

وما دعاني إلى أن أهجوك بهذه الكلمات القلائل إلّا وضاعة قدرك، وبُعدك عن منهل العلم، ومراتع العلماء، في شُبَهِك التي وسمت بها مُسودّتك التي حقُّها أن تُمزّق تمزيقًا، فتُحرّق تحريقًا، ولو أنّك اتّبعت في ردّك الأسلوب العلميّ، والأدب في خطابك الأدبيّ، لكان حريًّا بي أن ألتزم ذلك، لكنّي أُراك سوّدت أوراقًا ما تركت فيها موضعًا إلّا وملأته برذائِلِك سبًّا وقدحًا، ولفضائل الإمام طعنًا ومَسْحًا، حتّى أنّي عجزت عن وصفك، ومن أيّ طائفة شيطانية أنت، وقد شكاك كلمي إليّ من فَرطِ ما وَجَدَ من مَغَبَّة ذِكرِ هِجائِك:

شَكَا كَلِمِي إِلَيَّ وَقَالَ تَهْجُو بِمِثْلِيَ عِرضَ ذَا الكَلْبِ اللَّئِيمِ

فَقُلْتُ لَهُ تَسَلَّى فَرُبَّ نَجْمٍ هـَوَى فِي إِثْرِ شَيْطَانٍ رَجِيمِ

ممّا دعاني إلى أن أكتب شيئًا في الذّبِّ عن هذا الإمام ودعوته الإصلاحيّة، قيامًا بالواجب الذي عليَّ اتُّجاه حماية بيضة العلم والعلماء، وصون أعراضهم من رجس كلام هؤلاء الذين لا يُقيمُون للعلم قيمَةً وَوزنًا، ولا لأهله قدرًا ومعنًى، رغم أنّه لم يترك الأوّل للآخر ما يقول، غير أنّي أردت جمع ما تناثر من كلام أهل الذّكر والفقه العميق، وأهل العلم والفهم الدّقيق، في طيّات كتبهم سالكًا سبيل الاختصار في ذلك، لا طويلًا فيُمِلّ، ولا مُختصَرًا فيُخِلّ، مُعتدلًا بين ذلك، والله المستعان، وقد وسمته بعنوان: "تبرئة الحبر الربّاني من شبه عبد القادر الإسكندراني"، وإن شئت فقل:" الصّعقة المكّية في دحض النّفحة الزّكيّة"، وذلك في مقدّمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة.

-المقدّمة: فيها تمهيد وتعريفٌ بالبحث.

-المطلب الأوّل: فيه ترجمة الإمام محمّد بن عبد الوهّاب-رحمه الله-.

-المطلب الثّاني: فيه شبهات الخصوم وأنواعهم.

-المطلب الثّالث: فيه الردّ على الشُّبه الواردة في متن "النّفحة".

-خاتمة وأهمّ النتائج.

المطلب الأوّل: ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب –رحمه الله–:

أوّلا–نسبه وأسرته:

ينتمي الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى أسرة تدعى آل مشرّف وهي فرع من آل وهبة أحد بطون قبيلة تميم.

ونسبه هو: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن محمد بن بريد بن مشرّف التميمي[1].

ويقال: التميمي، نسبة لقبيلة تميم الشهيرة، وهي القبيلة التي أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه بقوله: لا أزال أحب بني تميم منذ ثلاث سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم؛ سمعته يقول: "هم أشد أمتي على الدجال"، وجاءت صدقاتهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هذه صدقات قومنا"، وكانت سبية منهم عند عائشة رضي الله عنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أعتقها فإنها من ولد إسماعيل"[2].

ثانيًا–أسرته:

كان آل مشرّف يسكنون بلدة أشيقر التي كانت مركزًا علميًّا في نجد خلال القرنين العاشر والحادي عشر من الهجرة، ومن هناك انتقل بعضهم إلى بلدان نجد أخرى.

وقد برز من هذه الأسرة عدد من العلماء، منهم: القاضي عبد القادر بن بريد المشرفي، وكان جد الشيخ محمد، وهو الشيخ سليمان بن علي قاضيا في روضة سدير، ثم انتقل منها إلى العيينة وأصبح قاضيا فيها، ويعد مرجع علماء نجد في كثير من مسائل الخلاف الفقهية في زمانه، وله بعض المؤلفات، مثل: كتاب المناسك، وله رسائل عديدة في عدد من المسائل الفقهية، وقد توفي الشيخ سليمان عام1079هـ في العيينة.

أما والد الشيخ محمد فهو الشيخ عبد الوهاب بن سليمان وقد تولى القضاء في العيينة بعد وفاة والده، ويعد أحد علماء المذهب الحنبلي في وقته في نجد، ولكنه لم تكن له المكانة العلمية التي كان يتمتع بها والده، ومن العلماء المعدودين من أسرته أيضا: عمه الشيخ إبراهيم بن سليمان رحمه الله.

---

[1] هناك اختلاف طفيف في نسبه ذكره بعض من كتبوا حول هذا الإمام رحمه الله، انظر: الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته وفكره، د. العثيمين، ص25، دعوة الشيخ السلفية، د. العبود[113/1].

[2] رواه البخاري في كتاب العتق، باب من ملك العرب رقيقا فوهب وباع، رقم:2357، ورواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل غفار وأسلم ...، رقم: 4587.

وأمّا والدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فهي تنتسب لأسرة آل عزاز الذين هم من آل مشرّف من بني تميم، وقد كان خاله سيف بن محمّد بن عزاز من علماء نجد في زمانه، وقد ولي قضاء أشيقر وله علمٌ في الفقه، وأجاد في الإفتاء والتدريس وتوفي رحمه الله في أشيقر سنة 1129هـ.

فاتّضح لنا فيما سبق المكانة العلميّة والاجتماعيّة البارزة لأسرة الإمام، وخصوصًا في تلك الأزمنة التي كانت تشتكي من قلّة العلماء وضعف الحركة العلميّة في نجد.

–ثالثًا: مولد الإمام ونشأته:

ولد الإمام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ في العُيينة سنة1115هـ.

وكان منذ نُعومة أظفاره بارزًا في الذكاء، وقوّة الحفظ ويدُلُّ على ذلك حفظُه للقرآن الكريم، ولم يبلغ العاشرة من العمر، وقد درس في صغره بعض كتُب الفقه الحنبليّ على يد والده وعمِّه إبراهيم بن سُليمان، وقدَّمه والده للإمامة مع صغر سنِّه لما يرى فيه من الكفاءة والقُدرة، وبعد ذلك تزوّج وهو صغير السِّنّ، ثم أدَّى فريضة الحجّ، وأقام شهرين في المدينة النّبويّة شاهد خلالهما حلقات العلم، ودروسه التي يشهدها الحرمان الشّريفان، ثم عاد إلى العُيينة، وواصل طلب العلم على يد والده وعمه.

–رابعًا: صفاته:

كان الشّيخ رحمه الله حاد الفهم، سريع الخاطر، وقاد الذهن، ألمعيَّ الفطنة، تميز بقوة الإقناع، وفصاحة اللّسان، وقوة الحجة، والقدرة العجيبة على استيعاب الأمور وحل المعضلات، تُعدُّ هذه أبرز صفات هذا الإمام التي وهبه الله إياها فساعدته كثيرًا ليقوم بدعوته الإصلاحيّة المباركة.

ذكر حسين بن غنام الإحسائي في تاريخ "روضة الأفكار والأفهام" قال: كان الشّيخ سليمان يحدث عن أخيه محمد بن عبد الوهاب قال: كان أبوه عبد الوهاب يتعجّب من فهمه وإدراكه، قبل بلوغه وإدراكِه، ومناهزته الاحتلام وإفراكِه.

ويقول أيضًا: "استفدتُ من ولدي محمّد فوائد من الأحكام"، أو قريبًا من هذا الكلام، وقد كتب والدُه إلى بعض إخوانه رسالةً نوَّهَ فيها بشأنه يُثني فيها عليه، وأنّ له فهمًا جيّدًا، ولو يلازم الدّرس سنة لَظَهَر في الحفظ والاتقان آيةً.

–خامسًا: رحلاته العلمية وشيوخه:

حرص الإمام ـ رحمه الله ـ على التزود من العلم بالشّرع وأحكامه في مختلف العلوم.

ورغبته –رحمه الله–بالخروج عن بلده لطلب العلم لا تعني أن بلده كانت خالية من العلم أو صِفْر اليدين منهم ـ وقد ذكرنا نماذج منهم عند الحديث عن أسرته، بل هو يرحل لمزيد من الاستفادة، ولما لكثرة الشّيوخ من توثيق وتنويع في تلقي العلوم، وقد قيل للإمام أحمد بن حنبل: رجل يطلب العلم يلزم رجلا عنده علم كثير، أو يرحل؟، قال: يرحل يكتب عن علماء الأمصار، فيشافه النّاس ويتعلم منهم.

ولذلك آثر رحمه الله الخروج من نجد إلى عدد من البلدان والتي كانت فيها الحركة العلمية نشطة مقارنة بمنطقة نجد، والتي كان التعليم فيها مقتصرا على تعليم القرآن الكريم ومبادئ بعض العلوم وخصوصا الفقه الحنبلي؛ لأن العلماء كانوا يعدون القلة القليلة من التلاميذ الذين ينصرفون لطلب العلم لتولي القضاء.

وعزوف الكثير من النّاس عن طلب العلم في نجد كان بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة التي كانت الأسر تعاني منها؛ فلذلك كانت تلك الأُسَر لا تحرص على توجيه أبنائها لطلبه، بقدر حرصها على توجيههم لكسب العيش وطلب الرزق، ولما بلغ الشّيخ ما يُقارب العشرين عامًا، من عمره غادر بلدة العيينة مُتَّجها إلى مكة المكرمة لأداء الحجّ وزيارة المدينة النّبوية مرّة أخرى، ولطلب العلم على يد علمائها، ولعلّ رحلته الأولى تركت في نفسه شوقًا للمدينتين المقدّستين لما تتمتّعان به من كثرة العلماء المحققين، وكثرة الطّلبة واتّساع حلقات العلم التي لم يعهدها في بلده، وأكثر –رحمه الله– من حضور مجالس العلماء في المدينة، وكان بقاؤه فيها ودراسته على علمائها أكثر من بقائه في مكة المكرمة.

فمن أبرز شيوخه في الحرم المكي الشريف:

الشيخ عبد الله بن سالم بن عيسى البصري الشافعي (1134هـ).

ومن شيوخه في الحرم المدني:

الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف رحمه الله، (ت1140هـ)، والشيخ محمد حياة بن إبراهيم السندي الحنبلي رحمه الله، المولود في إقليم السند، (ت1165هـ).

–سادسًا: تلاميذه:

تتلمذ على يد الإمام –رحمه الله–عدد كبير من الطُّلّاب، ولا يزال لدعوته صدًى وقبولٌ، وطُلَّاب في عددٍ من البلاد ولله الحمد، نسأل الله تعالى لها المزيد من القبول، وقد كان من أبرزهم أبناؤه: حسين، وعبد الله، وعلي، وإبراهيم، ومن تلاميذه: عبد العزيز العريني، حمد الحسين، أحمد بن معمر، أحمد سويلم، حسين ابن غنام، سعيد بن حجي، الإمام عبد العزيز بن سعود، الإمام سعود بن عبد العزيز، عبد العزيز بن حصين، وغيرهم خلق كثير.

–سابعًا: ثناء العلماء عليه:

أثنى على الإمام الكثير من أهل العلم المنصفين، ممّن رأى أنّ دعوته كانت دعوةً إصلاحيّةً تقوم على الكتاب والسنّة، وسأختصر شواهد الثناء عليه في أقوال العلماء الذين عرفوه بدعوته الإصلاحيّة السّلفية، وكان من هؤلاء الأئمّة الأعلام:

1. محمّد بن إسماعيل الأمير الصّنعاني ـ رحمه الله ـ والذي أرسل قصيدته المشهورة والتي فيها[1]:

قِفِي وَاسْأَلِي عَنْ عَالِمٍ حَلَّ سُوحَهَا بِهِ يَهْتَدِي مَنْ ضَلَّ عَنْ مَنْهَجِ الرُّشْدِ
مُحَمَّدٍ الهَادِي لِسُنَّةِ أَحْمَدٍ فَيَا حَبَّذَا الهَادِي وَ يَا حبَّذَا المَهْدِي

2. العلامة محمود شكري الألوسي علامة العراق (ت1342هـ) ـ رحمه الله ـ والذي يقول: "كان الشّيخ محمد بن عبد الوهاب شديد التّعصُّب للسُّنّة كثير الإنكار على من خالف الحقّ من العلماء".[2]

3. الشّيخ محمّد رشيد رضا من علماء مصر (1354هـ) ـ رحمه الله ـ والذي يقول: "لقد كان الشّيخ محمّد بن عبد الوهاب النّجدي، من العلماء المجددين، حيث قام يدعو إلى تجديد التّوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله–صلى الله عليه وسلم–"[3].

4. الشّيخ محمّد بن إسماعيل الغزنوي من علماء الهند، وجاء في دائرة المعارف البريطانيّة، وهي تتكلم عن الوهابية ما يلي:

الوهّابيّة: اسم لحركة التّطهير في الإسلام، والوهّابيون يتّبعون تعاليم الرّسول وحده، ويهملون كلّ ما سواها، وأعداء الوهّابيّة هم أعداء الإسلام الصّحيح[4].

---

[1] يشكّك بعض الباحثين ويقول: بأنّ الإمام الصّنعانيّ ـ رحمه الله ـ قد رجع عن مدحه للإمام محمّد بن عبد الوهّاب وعن دعوته الإصلاحية، فيُردّ على هذا فيُقال: إن ثبت أنّه تراجع فماذا يضرّ دعوة الحقّ، ثم إنّ سليمان بن سحمان –رحمه الله– ألّف كتابًا سّماه: "تبرئة الشيخين الإمامين من تزوير أهل الكذب المبين"، دافع فيه عن الإمامين ابن عبد الوهّاب والصّنعانيّ، وأكّد أنّ القصيدة التي يُذكر بأنّ الصّنعانيّ تراجع فيها عن مدح الإمام إنّما هي = = = مكذوبة وموضوعة على الإمام الصنعاني، انظر: دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ، د. العبد اللطيف، (ص39)...نقلا عن عبد الله المطوع في الدعوة الإصلاحية: (ص83).

[2] تاريخ نجد، للألوسي، ص165.

[3] الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه، لأحمد بن حجر، ص 244.

[4] الشيخ محمد بن عبد الوهاب المجدد المفترى عليه، لأحمد بن حجر، ص250. انظر الدّعوة الإصلاحيّة: (ص83–99)، بتصرّف.

-المطلب الثّاني: شبهات الخصوم وأنواعهم.

مما دفع هؤلاء للقضاء على دعوة الإمام والنّيل من انتشارها، وذيوع سِيطِها في الآفاق، أولائك الذين تعارضت مصلحتهم الدنيوية مع دعوته، فراحوا يُخالفونه في كلّ شاردة وواردة، محاولين التشهير به زورًا وبهتانًا، وأغلبهم من بني جِلدَتِه فنسبوا إليه ما يعجز اللّسان عن التلفُّظ به، وما يستحي البنان أن يَخُطّه، ممّا جعل الإمام في رسائله يُسارعُ إلى البراءة منها، والدّفاع عن صفاء العقيدة التي يدعوا النّاس إليها، وأنه لم يخرج في إصلاحه عن سلوك منهج الوحيين.

ولا يكاد يقف أحدٌ على ما كتبه خصوم هذه الدّعوة المباركة، إلّا وسيلمسُ أن جميع ما أوردوه من شبهات وما اختلقوه من مُجادلات لا أصل لها في أيّ مصنّف ممّا كتبه-رحمه الله-بل إنّ رسائله وردود أولاده وأحفاده وتلاميذه من بعده، طالما نفَتْ تلك الافتراءات، وتبرّأت منها براءة الذّئب من دم يوسف، وإذا عُدتَ إلى أصل تلك الشبهات فإنّك ستعلم أنّها غير خارجةٍ عن:

1-شبهات ذات جذور في الفرق السّابقة ألصقوها بالإمام، مع أنّ له رأيًا فيها هو رأي أهل السنّة والجماعة، حيث ينكر خروجها عن الصفّ الإسلاميّ كما أنكرها قبله في الشّام، شيخ الإسلام ابن تيميّة، وفي مصر العزّ بن عبد السّلام، وفي المغرب الإمام الشّاطبي -رحمهم الله تعالى-.

2-وإمّا أشياء مختلقة لا أساس لها من الصّحّة، ولم ترد في أصلٍ ممّا نُقِل عن نصوصِ ومُؤلفاتِ الإمام ولا في مؤلفات تلاميذه وأبنائه. والمختلق لا حدود له، وفيه تمويه على القارئ والسّامع فقد أبانت رسائل الإمام ضدّ هذا الشيء الكثير، البراءة من كلّ ما نُسب إليه، وأنّه محضُ افتراءٍ لا أصل له عنده قولًا أو عقيدة[1].

خذ مثلًا قوله في إحدى رسائله لأهل القصيم وقد جاء فيها: "ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم، وأنّه قبلها وصدّقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أنّ الرّجل افترى عَليَّ أمورًا لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها قوله:

[1] المصدر السّابق، بتصرّف.

"أنّي مبطل كتب المذاهب الأربعة، وأنّي أقول إنّ النّاس من ستُّمائة سنة ليسوا على شيء، وإنّي أدّعي الاجتهاد، وإنّي خارجٌ عن التقليد، وإنّي أقول أنّ اختلاف العلماء نقمةٌ، وأنّي أكفِّرُ من يتوسّلُ بالصّالحين، وإنّي أكفّر البُوصيري لقوله: "يا أكرم الخلق"، وإنّي أقول لو أقدر على هدم قُبّة رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت مِيزابها، وجعلت لها مِيزابًا من خشب، وإنّي أحرّمُ زيارة قبر النبي -صلّى الله عليه وسلّم-، و إنّي أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما، وإنّي أكفّر من حلف بغير الله، وإنّي أكفّر ابن الفارض وابن عربي، وإني أحرّق دلائل الخيرات، وروض الرياحين، وأسميته روض الشياطين، جوابي عن هذه المسائل أن أقول سبحانك هذا بهتان عظيم وقبله من بهت محمّدًا-صلّى الله عليه وسلّم- ومن يسُبُّ عيسى ابن مريم، ويسبُّ الصّالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور".

3-وإمّا من باب الرّغبة في تغطية العجز الذي ظهر من مجادلة أتباع الإمام، وإفحامِهم من قِبَلِ الأتباع، فبدأوا بالنّيل من الإمام ودعوته الإصلاحيّة، فلبّسوا على النّاس ما دار بينهم من جدالٍ، ولم يبق أمامهم إلا قلب الحقيقة وتمويه النتيجة.

4-وإمّا كلام مبتور من أصل كلام الإمام-رحمه الله-أو مؤوّل على غير معناه.

ويدخل في هذا قولهم: إن أتباع الإمام ينكرون الصّلاة على النبيّ -صلى الله عليه وسلم-وينكرون رسالته ممّا لا يصدقه عاقلٌ متبصّر، قد شمّ رائحة العلم، وعرف للنّاس قدرهم.

-أنواع خصوم الإمام:

اعتبر الشّيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-خصوم الإمام ثلاثة أقسام:

1-مُخرّفون يرون الحقّ باطلًا والباطل حقًّا، ويعتقدون أنّ البناء على القبور، واتّخاذ المساجد عليها من دون الله تعالى، والاستغاثة بها، وما أشبه ذلك دينٌ وهدًى، ويعتقدون أنّ من أنكر ذلك فقد أبغض الصّالحين، وأبغض الأولياء، وهو عدوٌّ يجبُ جِهاده.

2-وقسمٌ ثانٍ من المنسوبين للعلم: جهِلوا حقيقة هذا الرّجل، ولم يعرفوا عنه الحقّ الذي دعا إليه، بل قلّدُوا غيرهم وصدّقوا ما قيل فيه من الخُرافيين المضلّلين، وظنُّوا أنّهم على هدًى فيما نسبوه إليه من معاداة بعض الأولياء والأنبياء، وإنكار كراماتهم فذمُّوا الإمام، وعابوا دعوته ونفَّرُوا عنه وعنها.

3-وقسمٌ ثالثٌ خافُوا على المناصب والمراتب، فعادوه لِئلَّا تمتدُّ أيدي أنصار الدّعوة الإسلاميّة إليهم فتُنزِلهم عن المراكز، وتستولي على البلاد.

ومن خصوم دعوته:

محمّد بن عبد الرحمن بن عَفالِق: له مكانة علميّة في الأحساء يرتاده طُلّاب العلم، وقد توفّي بالأحساء سنة 1163 هـ، وقد أدرك أوّل دعوة الشيخ محمد -رحمه الله- فعاداها، وكتب إلى الإمام رسالة يتحدّاه فيها، بأنْ يُبيّن له ما تحتوي عليه سورة العاديات من المجاز والاستعارة والكناية وغيرها من العلوم البلاغيّة، حيث صحّ في اعتقاده أن استحضار النُّكت البلاغية، والاصطلاحات البيانية هي الوسيلة الوحيدة على تحقيق ما يجب لله تعالى على عباده، من معرفته، ومعرفة توحيده، وإخلاص العبادة له، كما قال الشّيخ عبد الله بن بسّام عند ترجمته لحياته[1].

[1] انظر علماء نجد خلال ستة قرون (3/ 820).

المطلب الثّالث: الردّ على الشُّبه الواردة في متن "النّفحة":

لقد ضلّ هذا المجنون سبيل أهل السنّة والجماعة، وتجده ينسب نفسه إليها بكلّ جرأةٍ وشجاعة، في حين يرمي الإمام بالكفر والزّندقة، ويُخرجه عن دائرة الإسلام، فصار يتخبّط في ظلمات الجهل والتقليد الأعمى خبط عشواء، لمن سلفه في الطّعن والشّتم لهذا الإمام المؤيّد بالنّصر والتّمكين، ولكن كما قيل:

كلٌّ يدَّعِي وَصْلًا بِلَيْلَى وَ لَيْلَى لَا تُقِرُّ لَهُمْ بِذَاكَ

وقد جمع في مُسودّته هذه من الخلط والتّناقض وتحريف الكَلِم عن مواضعه شيئًا كثيرًا، ويكرّرُ ما قاله المخذولون من أمثال: الشّيطان زيني دحلان، والنّبهاني، وحالك الظّلام الحاج مختار، وغيرهم من أعداء دعوة التّوحيد، ممّا سيُبيّنُ في محلِّه إن شاء الله تعالى.

1-الشُّبهة الأولى: قوله " الفرقة الوهّابيّة مخالفة لأصول الدّين وقواعده، ومُباينة لما أجمعت عليه الأئمّة....":

لا يخفى على عاقلٍ، أو طالبٍ للحقّ والحقيقة فساد هذا الزّعم، وظهور بهتانه، لكن لما كان الجاهل الغالي، الجامد على التقليد الأعمى، مُعرضًا عن استقراء الحقائق في مسائل الدّين من الكتاب والسنّة وأقوال الصّحابة -رضي الله عنهم-والتّابعين لهم بإحسان من أئمّة الهدى والدّين في هذه الأمّة، وخصوصًا الأئمّة الأربعة الذين يزعم الخبيث تقليدَهم، عجزَ الضّالُ عن استِيعاب مسائل أصول الدّين التي الخلاف فيها غير سائغ البتّة، ومع ذلك تراه يخالف الأئمّة الأربعة فيما أجمعوا عليه من أصول الدّين، وذلك بعدما خلع ربقة الإسلام من عنق من خرج عن تقليد أحدِهم، أمّا الإمامُ وأتباعُه من الوهّابيّة كما سمّاهم هو وأفراخه، فأصول الدّين عندهم تتمثّل في توحيد عبادة الله تعالى، وسدّ الذرائع الموصلة إلى الشرك في عبادته تعالى، وقطع كلّ السّبل إلى ذلك، والإقرار بعلوّ الله سبحانه على خلقه، وإثبات صفاته التي وصف بها نفسه، ووصفه بها رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وتلقّاها عنه الصّحابة ومن تلاهم بالظّفر والإحسان بالقبول والتسليم، إثباتًا من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تشبيه ولا تمثيل، فقد أعرض هذا المبتدع عن اتّباع الكتاب والسنّة، والسّلف الصّالح من هذه الأمّة، ولا حتّى قلّد أحد الأئمّة، بل فتح باب الشّرك في عبادة الله ربّ العالمين، ومثّل صفاته تعالى بصفات

المخلوقين، فقاده ذلك إلى الجحود والتأويل الباطل، وسيأتي بيان ذلك والكلام عليه في محلّه من هذا الردّ إن شاء الله تعالى.

يُكَذِّبُونَ بِأَسْمَاءِ الإِلهِ وَ أَوْ صَافٍ لَهُ بَلْ لِذاتِ اللهِ قَدْ جَحَدُوا
وَ لاَ نُحَكِّمُ فِي النّصِّ الْعُقُوْلَ وَ لاَ نَتَائِجَ الْمَنْطِقِ الْمَحْقُوْقِ نَعْتَمِدُ
لَكِنْ لَنَا نَصُّ آيَاتِ الْكِتَابِ وَ مَا عَنِ الرَّسُوْلِ رَوَى الأَثْبَاتُ مُعْتَمَدُ
لَنَا نُصُوْصُ الصَّحِيْحَيْنِ اللّذَيْنِ لَهَا أَهْلُ الوِفَاقِ وَأَهْلُ الخُلْفِ قَدْ شَهِدُوا
وَ الأَرْبَعُ السُّنَنُ الغُرُّ التي اشْتَهَرَتْ كُلٌّ إِلَى المُصْطَفى يَعْلو لَهُ سَنَدُ
كَذَا الْمُوَطّا مَعَ الْمُسْتَخْرَجَاتِ لَنَا كَذَا المَسَانِيْدُ لِلْمُحْتَجِّ مُسْتَنَدُ
مُسْتَمْسِكِيْنَ بِهَا مُسْتسْلِمِيْنَ لَهَا عَنْهَا نَذُبُّ الْهَوَى إِنّا لَهَا عَضُدُ
وَ لاَ نُصِيْخُ لِعَصْرِيٍّ يَفُوهُ بِمَا يُنَاقِضُ الشَّرْعَ أَوْ إِيَّاهُ يَعْتَقِدُ

2–الشُّبهة الثّانية: قوله" ...لإفساد عقائد المسلمين، وتنقيص قدر نبيّهم...":

لقد زعم الخبيث أنّ الإمام محمّد بن عبد الوهّاب، وأتباع الحقّ جاؤوا ليُغيّروا عقائد النّاس ويُضلّوهم، وهذا ظاهر البطلان والبهتان، غير أنّ هذا الكلام قد يُقال بوجهٍ مغاير، وهو أنّ النّاس كانوا على عقائد فاسدة من الشّرك والتّخريف والبدع، فبعث الله –جلّ وعزّ–كما هي سُنّته في خليقته من يُجدّدُ لهم أمر دينهم، بعدما اضْمحَلَّتْ معالمه، وانْدرسَتْ مراسمُه، وآلتْ أصوله وقواعده إلى زوال، وكادت لولا الله وحده أن تعود الوثنيّة إلى أوّل حال، ولكنّ الله سَلَّم وهو الكبير المتعال.

أمّا مقالته الشّنيعة، وكذبته الفظيعة، في زعمه أنّ الإمام والأتباع النّاصرين للحقّ، كانوا ينتقصون من قدر نبيّ الله –صلّى الله عليه وسلّم– فحاشاهم أن يهمّوا به، فكيف لهم أن يفعلوه، وما يقصد الضّالّ بفجور هذه المقالة إلّا الغلوّ الذي آلَ به، وبمشايخه من قبله، وأفراخه من بعده إلى الكفر الشّنيع، وقد نهى الله عنه ورسوله–عليه أفضل الصّلاة وأتمّ التسليم–في حقّه، وفي حقّ كلّ مخلوق، وذلك فيما يُموّه به عُبّاد القبور من اسم الزّيارة عامّة، وزيارة قبره الشّريف خاصّة، فإنّ حقيقة هذه الزّيارة عندهم هي دعاء الأموات أنفسهم، وصرف خالص العبادة لهم من دون الله فاطر الأرض والسّموات[1].

[1] انظر البيان والإشهار: (ص: 307).

إنّ من أغواهم الشيطان لَيجعلون مع الله تعالى آلهةً أخرى، فيصرفون لهم ما لله من العبادة من الدُّعاء والخوف والرَّجاء، وغير ذلك ممّا عليه عُبّاد القبور من الغلوّ بأصحابها من الأنبياء والصّالحين قديمًا، أمّا حُثالة هذا الزّمان، ممّن أمسوا وأضحوا أفراخًا للشّيطان، فإنّهم أشدُّ غُلُوًّا من الأوّلين، لصرفهم أنواع العبادة لهم في الشّدّة والرّخاء، وغُلوُّ هؤلاء لم يكن في الصّالحين فحسب، بل تعدّى إلى كلّ زنديقٍ أثيم، ولطالما كان في حيوانٍ بهيم، وهذا أمرٌ واقعٌ لا ينكره إلا مُكابرٌ مُعاندٌ، أمثال الاسكندرانيّ ومن قلّدَهم.

3–الشُّبهة الثَّالثة: استدلاله: ...."اذكروا الفاسق بما فيه يحذره النّاس".

لقد ساق هذا الدّجال كلامًا ونسبه إلى النبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–كذبًا وزورًا، حتّى يُقرّر ما ذهب إليه من افتراءٍ على الإمام–رحمه الله–وأتباعه، غير متورّعٍ عن الكذب في حديث رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم–، ولم يعلم الخبيث الدّجّال أنّه توعّده بلجامٍ من نار يصلاه يوم القيامة، هو والذي قد كذب عليه ابتداءً، وحتّى نخرّج درجة الحديث التي لم يُبيّنها الدّجّال، ولا ذلكم السّاعي بالجريمة، الذي نشر مقالته المسمومة، لابُدّ من الرّجوع إلى أهل الحديث والصّناعة، وذوي الإتقان والبراعة، جَهابِذةُ هذا الفنّ وفطاحِلتُه.

–فالحديث بتمامه هو بلفظ: "أَتَرْعَونَ عن ذكر الفاجر متى يعرفه الناس اذكروا الفاجر بما فيه يحذره النّاس".

قال السّيوطيّ: " ذكره الحكيم (257/2)، وقال: تفرّد به الجارود بن يزيد وقد أنكره بعض النّاس عليه. وأخرجه الحاكم في الكنى (414/1، رقم: 360)، وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة (رقم: 83)، والطّبراني (418/19، رقم 1010)، والعقيلي: (202/1)، عن جارود بن يزيد)، وقال ليس له أصلٌ.

والبيهقيّ: (210/10، رقم 20703) وقال: هذا حديث يُعرفُ بالجارود بن يزيد النّيسابوريّ، وأنكره عليه أهل العلم بالحديث، وقد سرقه عنه جماعةٌ من الضّعفاء، فرووهُ عن بهز بن حكيم، ولم يصحّ فيه شيءٌ" اهـ[1].

[1] جامع الأحاديث، لعبد الرّحمن بن أبي بكر، جلال الدّين السّيوطي (911هـ).

قال الألباني: "رواه ابن أبي الدّنيا في ذمّ الغيبة، الحكيم في نوادر الأصول، الحاكم في الكنى، الشّيرازي في الألقاب، (عد، طب، هق، خط) عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وهو موضوع"[1].

4-الشُّبهة الرّابعة: قول الأفّاك: "وُلد هذا الطّاغية سنة1111هـ، وتوفي سنة 1207هـ":

إنّ ما ذكره الأفّاك عن مولد الإمام وعن وفاته غلطٌ لا يطابق الحقيقة، فالمعترض دائمًا يتقلّب بين الكذب والخطأ، ولا يهمُّه تمحيص الحقائق، وإنّما هو مُقلّد أعمى وقد سبق في الترجمة أن ذُكِر تاريخ ولادته ووفاته-رحمه الله-كما ثبت عند أهل التّمحيص إثباتًا للحقّ، ونفيًا لما يختلقه أمثال هذا الأفّاك ومشايخه من الزُّور والفُجور.

فقد وُلد الشّيخ في بلدة العيينة سنة 1115هـ، الموافق لـ 1803م. وتوفّي سنة 1206هـ، الموافق لـ 1894م -رحمه الله رحمةً واسِعةً-.

ثمّ انظر إلى تسميته للإمام بالطّاغيّة، لا عجب فإنّه قد حاز نصيبًا من إرث القوم الطُّغاة العُتاة، الذين لم يسلم من طعنهم ولعنهم حتّى ربُّ العزّة والجلال، فقد وصفوه -سبحانه وتعالى عن زورهم- بأقبح الصّفات والنّقائص، فقد نسبوا إليه الصّاحبة والولد، وعطّلوه من صفاته، وشبّهوه بمخلُوقاته، ثمّ طعنوا في رسله وأنبيائه، ورموهم وآلَهم بعظائم الأمور، بالبهتان والفجور، ثمّ جاء من بعد هؤلاء من تَزَيَّ بزِيِّ الإسلام وأهله، فورث عنهم ما خلّفوه من الجرائم، وحاز عنهم ألوان السِّباب والشتائم، فكان شرّ خلفٍ لبئس سلفٍ، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى-في سياق كلام له عن هؤلاء المبتدعة-:" كما أنّ المشركين كانوا يُلقِّبون النّبيّ -صلىّ الله عليه وسلّم- بألقاب افتروها، فالرّوافض تُسمِّيهم "نواصب"، والقدرية تُسمّيهم "مُجبرة"، والمرجئة تُسمِّيهم "شُكّاكًا"، والجهميّة تُسمِّيهم "مُشبّهة"، وأهل الكلام يُسمُّونهم "حشويّة، ونوابت، وغُثاء، وغثرًا" إلى أمثال ذلك، كما كانت قريشٌ تُسمّي الرّسول -صلىّ الله عليه وسلّم- تارة مجنونًا، وتارة شاعرًا، وتارة كاهنًا، وتارة مُفتريًا، قالوا: وهذه علامة الإرث الصّحيح والمتابعة التامّة، فإنّ السنّة هي ما كان عليه رسول الله-صلى الله عليه وسلّم- وأصحابه، اعتقادًا واقتصادًا، قولًا وعملًا، فكما أنّ المنحرفين عنه يُسمّونه بأسماء مذمومةٍ مكذوبةٍ، فكذلك التّابعون له على بصيرة لابُدّ للمنحرفين عن سنّته أن يعتقدوا فيهم نقصًا، فيذمّونهم بأسماء مكذوبة" اهـ[2].

---

[1] صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته: (ص: 112)، انظر حديث رقم: 104 في ضعيف الجامع.

[2] انظر مجموع الفتاوى: (111/5)، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (728هـ)، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

ولكن حسب المقام أن يُقال فيه: كلبٌ ينبحُ قمرًا.

وقد أكّد الطّاغية في هذه الفقرة أنّ الإمام قد أظهر عقيدته بنجد، وهذا لم يكن كذلك إذ الإمام أعلن دعوته ببلده حريملا بتصحيح عقيدة النّاس فيما يتعلّق بعبادة الله تعالى، وأنكر تعلّقهم بغير الله تعالى، وصَرْفَ العبادة لغير الله سبحانه، ممّا هو منتشرٌ في البلد آن ذاك[1].

فلمّا اشتدّت الأذيّة غادر إلى مسقط رأسه العيينة فأمر أن تقطع بعض الأشجار التي كانت تعظّم وتُعبدُ من دون الله، وهدم قبّةً كانت على قبر زيد بن الخطّاب، وأقام الحدّ على امرأة أقرّت على نفسها بالزّنا مرّاتٍ عدّة أمامه بعد تأكّده من سلامة عقلها، ورغبتها في التّوبة والتّطهير، وذلك كلّه كان بمساعدة الأمير ابن معمّر الذي اعتذر له بعد ذلك في عدم تأييده ونصر دعوته الإصلاحيّة، نظرًا للضّغط الذي مُورِس على إمارته، فذاع صِيتُه بعد حادثة إقامة الحدّ على المرأة، في نجد وما جاورها[2].

5-الشُّبهة الخامسة: قول الظّالم: "كذا أخوه الشيخ سليمان كان ينكر عليه ما أحدثه من البدع...":

وهذا إطلاقٌ في الافتراء على الإمام وأخيه، فإنّه لا دخل لقريب ولا بعيد في الهداية إلى الدّين، وإن أنكر سليمان على أخيه وردّ عليه وناظره، فلا يلزم من ذلك كون سليمان على الحقّ، وكون أخيه محمّدًا على الباطل، وفي الأنبياء عبرة بنوح وإبراهيم ومحمّد-صلى الله عليهم وسلّم-ومع هذا فقد هدى الله سليمان بن عبد الوهّاب إلى الحقّ، فرجع عن غيّه[3]، وأعلن خطأه، وأظهر توبته عمّا سلف منه، وكتب في ذلك رسالة هذا نصُّها:

"بسم الله الرحمن الرحيم، من سليمان بن عبد الوهاب إلى الإخوان أحمد بن محمد التويجري، وأحمد ومحمد ابنا عثمان بن شبانه، سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد: فأحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا

مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، [1416هـ/1995م].

[1] انظر الصّفات الإلهيّة في الكتاب والسنّة النبويّة: (ص: 162)، لمحمّد أمان بن علي الجامي، دار المحسن – المنهاج، [ط2: 1434هـ-2013م].

[2] انظر ترجمة محمّد بن عبد الوهّاب: (ص: 22)، لأحمد بن حجر، قاضي المحكمة بقطر.

[3] الصّحيح أنّ الشيخ توقف حتى تظهر نتيجة حرب الرّياض مع الدّرعيّة، كما توقّف غيره، فلمّا انتهت بالاستيلاء على الرّياض ودخول أهلها في الدّين، جاء سليمان وغيره من العلماء المتوقّفين للمبايعة. يُنظر في هذا بحث للدكتور محمد الشويعر باسم الشيخ سليمان بن عبد الوهاب المفترى عليه، مجلة البحوث الإسلامية: (ص: 60/ ص: 255-300). نقلًا عن البيان والإشهار.

هو، وأذكركم ما منّ الله به علينا وعليكم من معرفة دينه، ومعرفة ما جاء به رسوله –صلى الله عليه وسلّم–من عنده، وبصَّرنا من العمى، وأنقذنا من الضّلالة، وأذكركم بعد أن جئتمونا في الدّرعية من معرفتكم الحقّ على وجهه، وابتهاجكم وثنائكم على الله تعالى الذي أنقذكم، وهذا دأبكم في سائر مجالسكم عندنا، وكلّ من جاءنا من المجمعة يثني عليكم والحمد لله على ذلك.

وكتبت لكم بعد ذلك كتابين غير هذا أذكركم وأعظكم، ولكن يا إخواني معلومكم ما جرى منّا من مخالفة الحقّ، واتباعنا سبل الشيطان، ومجاهدتنا في الصّدّ عن اتباع سُبل الهدى.

واليوم معلومكم: لم يبق من أعمارنا إلّا اليسير، والأيّام معدودة، والأنفاس محسوبة، والمأمول منّا أن تقوم لله ونفعل مع الهدى أكثر مما فعلنا مع الضّلال، وأن يكون ذلك لله وحده لا شريك له، لا لما سواه..... فالحقّ وضح وابلَوْلَجَ، وماذا بعد الحقّ إلا الضلال، فالله الله..."[1]، إلى آخر ما قاله –رحمه الله تعالى–.

وبهذا يتبيّن تفصيل ما أجمله الماكر مكر السّوء، من ضلال سليمان بن عبد الوهّاب، وهذا قد كان بشهادة من أهلها، وبإقرار من أصحابها، والإقرار سيّد الأدلّة، فماذا بعد الحقّ إلّا الضّلال، أفلا يعقل المجرمون، أم أنّهم في الغواية ذائبون، وإذا أتاهم ناصحٌ أمينٌ تولّوا وهم معرضون.

6–الشّبهة السّادسة: قول الكاهن: "وكان يُضمر في نفسه دعوى النُّبوّة...."

لقد بلغ الحثالة في الدّجل مبلغه، حتّى صار كاهنًا يزعم معرفة السّرّ وخبايا الصّدور، فاتّهم الإمام بادّعاء النُّبوّة، وأنّه ما منعه من إظهارها إلّا عدم تمكينه ووُسعه، وقد قال رسولُ الله –صلى الله عليه وسلّم–: "إيَّاكم والكَذِبَ، فإنَّ الكَذبَ يهدي إلى الفُجُورِ، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النّار، وإنَّ الرّجلَ ليَكذِبُ ويَتحرَّى الكَذِبَ حتى يُكتَب عند الله كذَّابًا..."[2] الحديث.

وهذا مثل قولة الزّور التي قالها فيه حالك الظّلام، أنّه:"كان يميل لمطالعة أخبار من ادّعوا النبوة، ويكتم هذا الفكر في نفسه"، وقد أشار من قبل إشارة خفيّةً ماكرةً حينما ذكر مسيلمة الكذّاب، فهذا من نمط ما قبله من الافتراء وقلّة الحياء، فمن أين عرف هذا الكاهن أنّ الإمام كان يميل لمطالعة أخبار من ادّعوا النبوّة، ما دام يكتم هذا الفكر في نفسه؟، فهل عنده علم من الغيب، أم هو الذي

[1] انظر البيان والإشهار: (ص: 87).

[2] إسناده صحيح على شرط الشيخين، أخرجه البخاري في "الأدب المفرد" (386)، ومسلم (2607) (105)، وأبو داود (4989)، وابن حبان (272)، والبيهقي في "السنن" 1/195-196، من طرق عن الأعمش، به.

يدّعي النبوّة، ويزعم أنّ الوحي ينزل عليه من السّماء، يخبره عن بواطن العباد وما يسرّونه في أنفسهم؟ أم هو محض الافتراء والكذب على الله وعلى عباده المؤمنين؟، وقد قال تعالى﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ بعداوتهم الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾[1]، وهل قام هذا الكاهن وأمثاله للإمام، وتقوّلوا عليه الكذب، إلّا بسبب ما قام به وبيّنه، أنّ مجرّد الإتيان بلفظ الشّهادتين مع مخالفة ما دلّتا عليه من أصول التّوحيد، ومع الشّرك الأكبر في العبادة لا يُدخل المكلّف في الإسلام، إذ المقصود من لفظ الشهادتين: حقيقة الأعمال التي لا يقوم الإيمان بدونها.

ولكنّ أتباع أعداء الله ورسله كذلك يفعلون، لأنّ لهم قِسْطًا من إرثهم فسمّاهم هؤلاء خوارج ومُشبّهة ووهّابية، يميلون إلى أخبار من ادّعوا النبوّة وأمثال هذه المفتريات، التي لا تَرُوج إلّا على كلّ جاهلٍ لا يُدرك الحقائق، فإنّ الإمام قد أشهر مذهبَه ودعوتَه التي يدعو النّاس إليها في مصنفاته المطولة، ورسائله المختصرة، فلم يترك لمعارضِيه شُبهةً إلّا كشفها، ولا طريقًا تُوصل إلى الله وإلى اتّباع رسوله-صلّى الله عليه وسلّم-إلّا بيَّنهما وأوضحها[2]، فأيّ شيء يخفيه في نفسه بعد ذلك أيّها الكاهن العرّاف؟ .

7-الشُّبهة السّابعة: قوله المسموم:" وكان يسمّي جماعته من أهل بلده الأنصار، ويسمّي تابعيه من الخارج المهاجرين":

ليس لهذا المعترض زمامٌ ولا خطامٌ، يردعه عن الكذب وقول الزّور، فإنّ ما يدّعيه كذبٌ محضٌ لم يُسمع به، ولا قاله غير هذا المفتري إلّا مشايخه الذين يقلّدهم كحالك الظّلام.

وإذا سلّمنا جدلًا بثبوت هذه التّسمية، فإنّه كان من باب من نصر دين الله تعالى ورسوله -صلّى الله عليه وسلّم-ومن جاء مهاجرًا لذلك، مع علم الإمام بأنّ الشّرع إنّما أطلق اسم "المهاجرين والأنصار"، على من هاجر إلى النّبيّ-صلّى الله عليه وسلّم-قبل فتح مكّة، فما عليه من هذه التّسمية إذا كانت على الحقّ مطابقة لحقيقة الحال؟ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-في اقتضاء الصّراط المستقيم: "فهذان الاسمان "المهاجرون والأنصار"، اسمان شرعيّان جاء بهما الكتاب والسنّة، وسمّاهما بهما كما سمّانا بالمسلمين من قبل، وفي

---

[1] [النحل، الآية:105].

[2] يُنظر البيان والإشهار: (ص: 68-69)، بتصرّف.

هذا أنّ انتساب الرّجل إلى المهاجرين والأنصار، انتسابٌ حسنٌ محمودٌ عند الله، وعند رسوله –صلىّ الله عليه وسلّم–، ليس من المباح الذي يُقصد به التّعريف فقط كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من المكروه والملحق به، كالانتساب إلى ما يُفضي إلى بدعةٍ أو معصيّةٍ أخرى"[1]. اهـ

وبهذا تعرف أن هذا المعترض جاهلٌ ضالٌّ، فهو يعترض على الأسماء الشّرعيّة، وتطيب لقلبه ونفسه الخبيثة أسماء الفرق المبتدعة، المخالفة للطّائفة المنصورة، والفرقة النّاجية، أنصار السّنّة المحمّديّة.

8–الشّبهة الثّامنة: قوله الباطل: " ويقول لمن أراد أن يدخل دينه.....وإن كان من أفسق النّاس": من أين لك هذا يا هذا؟، إنّ عادة هذا الجاهل المفتري أنّه يذكر أمورًا عن الإمام، دون أن يعزو أو ينسب قوله إلى شيخ، أو كتاب، ممّا يدلّ على انعدام أمانته العلميّة، بل يذكرها من مُخَيِّلتِه الوهميَّة، وتخرُّصاتِه الظَّنيَّة، ولا يفعل هذا إلّا خائنٌ مُلبِّسٌ على العقول السّليمة، والفِطَر المستقيمة.

وأنّى للإمام أن يشترط لمن أراد أن يدخل في الإسلام شروطًا ليست في كتاب الله ولا في سنّة رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم–، كأن يشهد المريد للإسلام على نفسه ووالديه، وغيرهم أنّهم كانوا على غير ملّة الإسلام، ثمّ إنّه إذا لم يشهد أمر بقتله، واللهِ إنّها فريةٌ فأعظِم بها من فريةٍ.

لقد بيّن الإمام–رحمه الله–في الكثير من رسائله، أنّه لم يكن يُكفّر من النّاس، إلّا من كفّره الله ورسوله بنصّ التّنزيل، كالمؤلّهين لغير الله من المخلوقين بدعائهم ورجائهم والتوّكل عليهم، وتفويض جميع أمورهم إليهم قولًا واعتقادًا، والرّاضين بذلك، وكالجاحدين من الدّين ما عُلم بالضّرورة أنّه منه، عمليًّا كان أو اعتقاديًّا، وقد كان يأمرهم بما أمر الله به من التّوحيد، وينهاهم عمّا نهى الله عنه من الشّرك، وهذا الأثيم يزعم أنّه كان يكفّر كلّ من لا يتبعه، وكأنّ التّكفير شخصيٌّ ذاتيٌّ له حرّية التّصرّف فيه.

فالشيخ محمّد–رحمه الله تعالى–وأتباع الحقّ لم يكفّروا المسلمين، ولم يتأوّلوا في تكفيرهم آياتٍ نزلت في حقّ المشركين، إنّما الخطأ والتّأويل الباطل في تسمية الأثيم عُبّاد القبور مسلمين.

ثمّ إنّه ليعترض على إثبات الإيمان لمن كان فاسقًا، وهذه بادرةٌ إعتزاليّةٌ، ونادرةٌ خارجيّة، قد لفظها وتقيّأها من فِيّه النّجس، فهو تبنّى عقيدتهم، حين سلك مسلكهم، وقرّر فكرتهم، في أنّ أهل المعاصي لا إيمان لهم، أمّا أهل السنّة والجماعة على الحقّ والحقيقة، فإنّهم لا ينفون الإيمان على من أذنب، ولا

[1] اقتضاء الصّراط المستقيم: (241/1)، لأبي العبّاس ابن تيميّة الحرّاني (728هـ)، ت: ناصر العقل، [ط:7/ 1417هـ]، دار عالم الكتب–بيروت.

يقولون لا يضُرّ مع الإيمان ذنبٌ لمن عمله، وهذا والله هو اعتقاد الوهّابيّة، وإن جحده الجاحدون، وحنق عليه الحانقون.

وأنَّ فاسِق أهْلِ المِلَّة لا يَكفُرُ بذنبٍ دون الشِّرك إلَّا إذا اسْتَحلَّه، وأنّه تحت المشيئة، فيُنفى عنه الإيمان المطلق، لا مطلق الإيمان.

وَالْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ ذُو الْعِصْيَانِ ... لَمْ يُنْفَ عَنْهُ مُطْلَقُ الْإِيمَانِ

لَكِنْ بِقَدْرِ الْفِسْقِ وَالمَعَاصِي ... إِيمَانُهُ مَا زَالَ فِي انْتِقَاصِ

وَلَا نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ ... مُخَلَّدٌ بَلْ أَمْرُهُ للباري

تحت مشيئة الإِلَهِ النَّافِذَهْ ... إِنْ شَا عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَا آخَذَهْ

بِقَدْرِ ذَنْبِهِ وَ إِلَى الْجِنَانِ ... يُخْرَجُ إِنْ مَاتَ عَلَى الْإِيمَانِ

وَالْعَرْضُ تَيْسِيرُ الْحِسَابِ فِي النَّبَا ... وَمَنْ يُنَاقَشِ الْحِسَابَ عُذِّبَا

وَلَا نُكَفِّرْ بِالْمَعَاصِي مُؤْمِنَا ... إِلَّا مَعَ اسْتِحْلَالِهِ لِمَا جَنَى

9–الشُّبهة التّاسعة: قول الزّنديق: " إنّ العصا خير من محمّد لأنها ينتفع بها ومحمّد قد مات، فأيّ نفع منه؟": ومنها قولهم: إنّ الرّبابة في بيت الزّانية أقلّ إثمًا من الصّلاة والتّسليم على محمّد":

إنّه لَزورٌ وبهتانٌ، بل ظلمٌ وعدوانٌ، قد كان من مقالة الزّور لدحلان، وحالك الظّلام من قبله، وإنّه لَهَذَرُ المجانين، ووحيُ الشّياطين، لا يستحقُّ ردًّا إلّا قول: "سبحانك هذا بهتانٌ عظيمٌ"، كما أجاب به الإمام من نسب إليه هذا، فاسمع إذًا ما يقوله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب وابنه الشيخ عبد الله–رحمهما الله–في ردّهم على هذه الخرافات، في رسالة أرسلها إلى عالم بغداد الشّيخ عبد الرحمن السُّويدي–رحمه الله–ذكر له فيها عقيدته، وما يدعو النّاس إليه:

"فإنّي ألزمت من تحت يدي بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وغير ذلك من فرائض الله، ونهيتهم عن الرّبا وشرب المسكرات وأنواع المنكرات، فلم يمكن الرؤساء القدح في هذا وعيبه، لكونه مُستحسنًا عند العوامّ، فجعلوا قدحهم، وعداوتهم فيما آمرُ به من التّوحيد، وأنهى عنه من الشّرك ولبّسوا على العوامّ: (أنّ هذا خلاف ما عليه أكثر الناس)، وكبرت الفتنة جدًّا، وأجلبوا علينا بخيل الشّيطان ورَجِلِه، منها: إشاعة البهتان بما يستحي العاقل أن يحكيه، فضلًا عن أن يفتريه، ومنها ما ذكرتم: أنّي أكفّر جميع النّاس إلا من اتّبعني، وأزعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجبًا كيف يدخل هذا في عقل عاقل؟

هل يقول هذا مسلم، أو كافر، أو عارف، أو مجنون؟، وكذلك قولهم: إنّه يقول: لو أقدر أهدم قبّة النبي –صلى الله عليه وسلم–لهدمتها، وأمّا دلائل الخيرات فله سببٌ، وذلك أنّي أشرت على من قبل نصيحتي من إخواني، أن لّا يصير في قلبه أجلّ من كتاب الله تعالى، ويظنّ أنّ القراءة فيها أجلّ من قراءة القرآن، وأمّا إحراقه والنهي عن الصلاة على النبيّ–صلّى الله عليه وسلّم–بأيّ لفظٍ كان، فهذا من البهتان.

والحاصل: أنّ ما ذُكِر عنّا من الأسباب غير دعوة النّاس إلى التّوحيد، والنّهي عن الشّرك فكلُّه من البهتان، وهذا لو خفي على غيركم فلا يخفى عليكم..." اهـ، ثمّ أطال الإمام في تقرير الحقيقة.

وقال الشّيخ–رحمه الله تعالى–في رسالة أرسلها جوابًا لعبد الله بن سحيم:

"ولا يخفاك أن المسائل التي ذكرت أنها بلغتكم في كتاب من العارض، جملتها أربع وعشرون مسألة بعضها حق، وبعضها بهتان وكذب–إلى أن قال–إذا تبيّن هذا، فالمسائل التي شنّع بها: ففيها ما هو البهتان الظاهر، وهي قوله: "إنّي مبطل كتب المذاهب" وقوله: "إني أقول: إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء"، وقوله: "إنّي أدّعي الاجتهاد"، وقوله: "إنّي خارج عن التّقليد"، وقوله: "إنّي أقول إنّ اختلاف العلماء نقمة"، وقوله: "إنّي أكفّر من توسّل بالصّالحين"، وقوله: "إنّي أكفّر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق"، وقوله: "إنّي أقول: لو أقدر على هدم حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها، وجعلت لها ميزابًا من خشب"، وقوله: "إنّي أنكر زيارة قبر النّبيّ–صلى الله عليه وسلم–"، وقوله: "إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم، فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم، ولكن قبله من بهت محمّدًا–صلّى الله عليه وسلّم–أنّه يسبُّ عيسى ابن مريم، ويسبُّ الصّالحين، وتشابهت قلوبهم، وبهتوه بأنّه يزعم أن الملائكة وعيسى وعُزيرًا في النّار، فأنزل الله:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴾ [1].

وقال عبد الله بن الإمام–رحمهما الله– في رسالةٍ له: وأمّا ما يكذب علينا سترًا للحق، وتلبيسًا على الخلق، بأنّا نقرأ القرآن برأينا، ونأخذ من الحديث ما وافق فهمنا من دون مراجعة شروح، ولا نُعوّل على شيخ، وأنّا نضع من رتبة نبيّنا محمد–صلّى الله عليه وسلّم– بقولنا: "النّبيّ رمّة في قبره، وعصى أحدنا أنفع منه، وليس له شفاعة، وأنّ زيارته غير مندوبة، وأنّه كان لا يعرف معنى لا إله إلّا الله حتى أنزل عليه:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[2]، مع كون الآية مدينة، وأنّا لا نعتمد أقواله، ونُتلف مؤلّفات

[1] [الأنبياء، الآية: 101].

[2] [محمد، الآية: 19].

أهل المذاهب لكون فيها الحقّ والباطل، وأنّا مُجسِّمة، وأنّا نُكفِّر النّاس على الإطلاق، ومن بعد السّتمائة، إلّا من هو على ما نحن عليه، ومن فروع: ذلك أنّا لا نقبل بيعة أحد حتّى نقرّر عليه بأنّه كان مُشركًا، وأنّ أبويه ماتا على الإشراك بالله، وأنّا نَنهى عن زيارة النّبيّ، ونُحرّم زيارة القبور المشروعة مطلقًا، وأنّ من دان بما نحن عليه سقط، عنه جميع التّبعات حتى الدُّيون، وأنّا لا نرى حقًّا لأهل البيت رضوان الله عليهم، وأنّا نُجبِر على تزويج غير الكفء لهم، وأنّا نجبر بعض الشّيوخ على فراق زوجته الشّابة لتُنكح على مرافعة لدينا ولا وجه لذلك، فجميع هذه الخرافات وأشباهها جوابنا عنها في كل مسألة منها: **"سبحانك هذا بهتان عظيم"**.

فمن روى عنّا شيئًا من ذلك، أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى، ومن شاهد حالنا، ورأى مجلسنا وتحقق ما عندنا علم قطعًا أنّ جميع ذلك وضَعَه علينا جماهير أعداء الدِّين وإخوان الشّياطين، تنفيرًا للنّاس عن الإذعان لإخلاص التّوحيد لله بالعبادة.

فإنّا نعتقد أنّ من فعل أنواعًا من الكبائر، كالقتل للمسلم بغير حقٍّ، والزّنا والرّبا وشُرب الخمر، وتكرّر ذلك منه: لا يَخرج بفعل ذلك عن دائرة الإسلام، ولا يُخلَّد في دار الانتقام، إذا كان مُوحِّدًا لله في جميع أنواع العبادة.

والذي نعتقِدُه في مرتبة نبيّنا -صلّى الله عليه وسلّم- أنّه أعلى مراتب المخلوقات على الإطلاق، وأنّه حيٌّ في قبره حياةً مستقرّةً أبلغ من حياة الشّهداء المنصوص عليها في التّنزيل، إذ هو أفضل منهم بلا مريةٍ أو شكٍّ، وأنّه يَسمعُ سلام من يُسلِّم عليه، وتسُنُّ زيارتُه إلّا أن يُشَدَّ الرَّحْلُ إليه، إلّا لزيارة المسجد، والصّلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزّيارة فلا بأس، ومن أنفق نفيس أوقاته في الاشتغال بالصّلاة عليه الواردة عنه -صلّى الله عليه وسلّم-، فقد فاز بسعادة الدّارين، وكُفِي همَّه، كما جاء في الحديث.

انتهى ما نقلته من كلام الإمام محمّد وابنه عبد الله في تكذيبهم لهذه الخرافات التي أوردها هذا المعترض الزّنديق، مختصرًا عن صاحب البيان والإشهار[1].

10-الشُّبهة العاشرة: ومن بهتانه أنّه قال: "ويحلق لحية من زار قبر الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-"، وقال في موضع آخر: "وكان ابن عبد الوهّاب يأمر بحلق رؤوس النّساء":

[1] يُنظر البيان والإشهار: (ص: 90-91).

يا ويل أبيه من سوء مقالته العوراء، ويا ويح أمّه من زور كذبته العمياء، أيستسيغُ هذا عقل أولي الألباب، أم يُمسكه هؤلاء هونًا ويدُسُّونه في التُّراب، كيف للإمام أن يأمر بهذا الفعل الشّنيع، الذي قد جاءنا الشّرع بالحثِّ عليه، حتّى يستوي العبد في خَلقٍ بديع، فإنّ إعفاء اللّحية للرّجال، من آكَدِ سُنن فطرة ربّ العزّ والجلال، وإنّ من زينة المرأة ظفرات شعرها عند كمالها في أحسن حال.

وقد جاءنا بقِصَّةٍ من حديث خُرافة، ليس لها سندٌ ولا عزوٌ ولا ظرافة، ثمّ استدلّ على عَوَره وعُميِه، وعلى ضَلاله وعَيِّه، بقوله" يخرج آخر الزّمان في بلد مُسيلمة رجلٌ يُغيّر دين الإسلام"، و"سيظهر من نجدٍ شيطان تتزلزل جزيرة العرب من فتنته"، فالجواب على هذا والله المستعان كالتّالي:

هذه الأحاديث ممّا ساقه المجنون المفتري، ممّا قد وُضع على رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-، ولكن هيهات، فسوف ينكشف جهله، ويظهر الحقّ على باطله، فيكبُّه الله يوم الجزاء على وجهه مُسودًّا، يوم تَبيضُّ وجوه أهل السنّة والجماعة، وسيأتي هو-إن شاء الله-تحت لواء مسيلمة الكذّاب، لأنّه قد وافقه بالكذب على الله وعلى رسوله -صلّى الله عليه وسلّم-، أمّا الإمام فسيأتي-إن شاء الله تعالى- تحت لواء سيّد المسلمين لأنّه من أنصاره، والمجدِّدُ لما اندَرس من مِلَّتِه الحنيفيّة، فهو أحقُّ بها وأهلها: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠﴾[1].

وقد دانت له جزيرةُ العرب كلُّها بالطّاعة والتزام هذا الدّين الحنيف، ملّة أبينا إبراهيم -عليه وعلى نبيّنا أفضل الصّلاة والتّسليم-، فهذا الغبيّ الأحمق لا يدري من أخبار النّاس شيئًا إلى ما عثر عليه من ضلالات مشايخ السُّوء، ودُعاة الفتنة الذين اتّخذوا الدّعوة إلى الله سبيلًا للتأكّل بها، فجعلوا منها قِربةً لا قُربةً لله تعالى.

11-الشُّبهة الحادية عشرة: قول الجاهل:" ويزعم أنّ من قال لآخر يا سيّدي أو مولاي فهو كافر":

عن عبد الله بن الشخير -رضي الله عنه -قال: انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-فقلنا: أنت سيّدنا، فقال: «السيّد الله تبارك وتعالى» قلنا: وأفضلنا فضلًا، وأعظمنا طَوْلًا، فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، ولا يستجرِيَّنكم الشّيطان»[2].

[1] [التوبة، الآية: 120].

[2] أخرجه أبو داود بسند جيّد (4806).

وعن أنس–رضي الله عنه–أنّ ناسًا قالوا: يا رسول الله، يا خيّرَنا وابن خيّرِنا، وسيّدنا وابن سيّدنا، فقال: «يا أيّها النّاس قولوا بقولكم، ولا يستهويّنكم الشّيطان، أنا محمّدٌ عبد الله ورسوله، ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله–عزّ وجلّ–»[1].

فحماية النّبيّ–صلّى الله عليه وسلّم–حمى التّوحيد، وسدّه طرق الشّرك، كان في جهة الاعتقادات ومن جهة الأقوال والأفعال، فإذا تأمّلت سنّته وجدت أنّه –عليه الصّلاة والسّلام–سدَّ الباب في الاعتقادات الباطلة، وسدَّ الباب في الأفعال الباطلة، كقوله: «اشتدَّ غضبُ الله على قومٍ اتّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وسدَّ الباب أيضًا في الأقوال التي توصل إلى الغلوّ المذموم، فقال: «لا تطروني كما أطرت النّصارى ابن مريم إنّما أنا عبدٌ، فقولوا: عبد الله ورسوله»، وهذا أيضًا فيما يتعلّق بالقول الذي قد يتبعه اعتقاد.

وفي هذا الحديث أنّ إطلاق لفظ **"السّيّد"** على البشر مكروه، ومخاطبتُه بذلك يجب سدُّها، فلا يخاطب أحد بأن يقال له: أنت سيّدنا على جهة الجمع، وذلك لأنّ فيها نوع تعظيم من جهة المخاطبة، يعني: الخطاب المباشر.

والجهة الثّانية من جهة استعمال اللّفظ، والنّبيّ–عليه الصّلاة والسّلام–سيّدٌ كما قال عن نفسه: «أنا سيّدُ ولد آدم ولا فخر»، ولكن مخاطبته–عليه الصّلاة والسّلام–مع كونه سيّدًا كرهها ومنع منها، لئلّا تؤدّي إلى ما هو أعظم من ذلك، من تعظيمه والغلوّ فيه عليه الصّلاة والسّلام[2].

و**السّيّد**: ذو السُّؤدُد والشَّرف، والسُّؤدُد معناه: العظمة والفخر وما أشبهه، وسَيِّدٌ: صفةٌ مشبّهة على وزن فَيعِل، لأنّ الياء الأولى زائدة.

وفي قوله: "السّيد الله": لم يقل–صلّى الله عليه وسلّم–سيّدكم كما هو المتوقّع، حيث إنّه ردّ على قولهم "سيدّنا" لوجهين:

–الوجه الأوّل: إرادة العموم المستفاد من (أل)، لأنّ (أل) للعموم، والمعنى: أنّ الذي له السّيادة المطلقة هو الله–عزّ وجلّ–ولكن السيّد المضاف يكون سيّدًا باعتبار المضاف إليه، مثل: سيّد بني فلان، سيّد البشر، وما أشبه ذلك.

---

[1] أخرجه النّسائي في " عمل اليوم واللّيلة " (248) و (249)، وصحّحه ابن عبد الهادي في "الصّارم المنكي": (246).

[2] التّمهيد لشرح كتاب التّوحيد: (ص:515)، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد، [ط:1/1424هـ].

-الوجه الثّاني: لئلّا يُتوهّم أنّه من جنس المضاف إليه، لأنّ سيّد كلّ شيء من جنسه، والسيّد من أسماء الله تعالى، وهي من معاني الصّمد، كما فسّر ابن عباس الصّمد بأنّه "الكامل في علمه وحلمه وسُؤدده"[1].

ولم ينههم-صلّى الله عليه وسلّم-عن قولهم: "أنت سيّدنا"، بل أذن لهم بذلك، فقال: قولوا بقولكم أو بعض قولكم، لكن نهاهم أن يستجريهم الشّيطان فيترقَّوا من السّيادة الخاصّة إلى السّيادة العامّة المطلقة، لأنّ سيّدنا سيادة خاصّة مضافة، و "السّيد" سيادة عامّة مطلقة غير مضافة.

تنبيه: جرى شُرَّاحُ هذا الحديث على أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-نهاهم عن قول سيّدنا، فحاولوا الجمع بين هذا الحديث وبين قوله -صلّى الله عليه وسلّم-" أنا سيّدُ ولد آدم "، وقوله: " قوموا إلى سيّدكم "، وقوله في الرّقيق: "وليقل سيّدي ومولاي "، بواحد من ثلاثة أوجه:

1-الأوّل: أنّ النّهي على سبيل الكراهة والأدب، والإباحة على سبيل الجواز.

2-الثّاني: أنّ النّهي حيث يخشى منه المفسدة، وهي التدرّج إلى الغلوّ والإباحة ما لم يكن محذور.

3-الثّالث: أنّ النّهي بالخطاب، أن تخاطب الغير بقولك: أنت سيّدي أو سيّدنا، بخلاف الغائب، لأنّ المخاطب ربّما يكون في نفسه عُجبٌ وغلوٌّ وترفُّعٌ، ثمّ إنّ فيه شيئًا آخر، وهو خضوع هذا المتسيّد له وإذلال نفسه له بخلاف ما إذا جاء من الغير، مثل: "قوموا إلى سيّدكم"، أو على سبيل الغيبة، كقول العبد: قال سيّدي ونحو ذلك، لكن هذا يردُّ عليه إباحته صلى الله عليه وسلم للرقيق أن يقول لمالكه: سيدي"[2] اهـ.

أمّا فريته التي زعم أن تُجعل قُبورهم مجالًا لقضاء الحاجة، أو نبش قبورهم، فهذا كلّه من البهتان كما لا يخفى على عاقل مُتبصّرٍ.

ثمّ أشار إلى أنّ ما يطول شرحه من مخالفات الإمام، أنّه يوجد في كتاب خلاصة الشّيطان، زيني دحلان، الملحد الفتّان، وهذا المعترض يزعم أنّه قد تصدّى لتحرير مذهب الوهّابيّين والردّ عليهم، جمهورٌ من علماء الحجاز، ولم يذكر منهم سوى دحلان.

فاعلم -رحمك الله-أنّ دحلان هذا هو منبع الزّور والفجور، وهو الذي اعتمد المعترض على تقليده في تكفير الموحّدين من أهل نجد، مع ما هو مشتهر به دحلان من عدم الثّقة واتّباع الهوى، وعدم المبالاة

[1] أخرجه: ابن جرير (30/ 744)، وأورده السّيوطي في "الدر المنثور" وعزاه لابن المنذر، وابن أبي حاتم والبيهقي في "الأسماء والصفات".

[2] القول المفيد على كتاب التوحيد: (515/2)، لمحمّد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، [ط:2، 1424هـ].

بالكذب الصّريح، الذي أسقطه عن النّظر في تصانيفه البائرة، عند جميع من عرفه من أهل العلم والفضل.

وقد قال بعض الفضلاء من علماء مكّة: "تصانيف دحلان كالميتة، لا يأكلها إلى المضطرّ"، وقد ردّ عليه كثيرٌ من علماء الهند والعراق ونجد، وغيرهم ففضحوه وبيّنوا ضلاله. وقد قال غير واحد ممّن يوثق بهم من أهل العلم: إنّ دحلان هذا رافضيٌّ لكنّه أخفى مذهبه، وتسمّى بتقليد أحد الأئمّة الأربعة سترًا لمقاصده الخبيثة وتقيّةً، ولنيل المناصب التي يأكل منها، ومن أدلِّ الدّليل على رفض الخبيث، تأليفه لكتاب: "أسنى المطالب في نجاة أبي طالب"، الذي ردّ فيه بهواه نصوص الكتاب، والسنّة الصحيحة المتواترة، وكلُّ من يطّلع على تصانيف هذا الملحد، ويستقرئ شيئًا من سيرته يعلم يقينًا صحّة ما نُسب إليه من مخالفة سبيل المؤمنين، فليس عنده من أدب العلم، ووَرَع العلماء ما يَنظُمُه في سِلكهم، بل هو صِفرٌ من الورع والتّقوى اللّذين يمنعان صاحبهما من الكذب واتّباع الهوى، فإنّ كلامه إلى فُشَر السّوقة والحمقى أقرب منه إلى كلام العقلاء فضلًا عن العلماء، فلا تغترّ بدعاة الضّلال أمثاله[1].

وقد قال في حقّه العلّامة عبد الكريم بن فخر الدّين الهندي، في كتابه الذي سمّاه "الحق المبين في الردّ على اللَّهّابِيَّة المبتدعين": فتأمّل إن كنت من طالبي الحقّ ما في رسالة ابن دحلان، وحال كثير من أهل الزّمان، تجده قد لبَّس تلبيسًا وزَخرَفَ القولَ غُرورًا، وتمويهًا للباطل وتشكيكًا منثورًا، فكان كما قيل في التمثيل: **جو كفراز كعبه برخيز دكجما ماند مسلماني**

يعني: **إذا برز الكفر من الكعبة وثار كيف يبقى الإسلامُ على قرار**

12-الشُّبهة الثّانية عشرة: قوله المكذوب: "لما سوّلت له نفسه أن يبتدع دينًا جديدًا، صنّف رسالة سمّاها: كشف الشُّبهات...":

سبب تأليف كتاب: "كشف الشُّبهات": هذا الكتاب جوابٌ لشبه اعترض بها بعض المنتسبين للعلم في زمانه عليه؛ فإنّ الإمام محمّد بن عبد الوهاب -رحمه الله- لما تصدّى لبيان التّوحيد، والدّعوة إليه وتفصيل أنواعه، والموالاة والمعاداة فيه، ومُصادمة من ضادَّه، وكشف شُبه من شَبَّه عليه -وإن كانت أوهى من خيط العنكبوت، وأوهن من بيته، وبيّن ما عليه الكثير من الشّرك الأكبر- اعترض عليه

[1] البيان والإشهار: (ص: 57).

بعضُ الجهلة المتمَعْلِمِين، أزَّهُم إبليس فجمعوا شُبهًا شَبَّهُوا بها على النّاس، وزعموا أن الإمام-رحمه الله يُكفّر المسلمين وحاشاه ذلك، بل لا يُكفّر إلّا من عمل مُكفّرًا وقامت عليه الحُجّة، فأجابهم المصنّف بهذا الكتاب، وما يُميّز به المنصِفُ ما عليه الإمام وأتباعه وما عليه أولئك[1].

13-الشُّبهة الثّالثة عشرة: قول الجاهل المذموم:" فالمشركون ما اعتقدوا في الأصنام أنّها تخلق أشياء، بل اعتقدوا أنّ الخالق هو الله.....أنّ الاستغاثة والتوسّل عبادة لغير الله تعالى تحكّمٌ ومُكابرة":

إنّ كلّ لبيب يقف عند هذا الهذيان، ليعلم يقينًا أنّ هذا المسكين أجهلُ من حمار أبي جهلٍ، بل أجهل من حمار أهله:

قال حمارُ الحكيم تُومَا لو أنصفَ الدَّهرُ ما كُنتُ أُرْكَبُ

لأنّني جاهلٌ بسيطٌ وصَاحِبِي جاهلٌ مُركَّبُ

ومعلومٌ أنّ المشركين لم يزعموا أنّ الأنبياء والأولياء والصّالحين والملائكة شاركوا الله في خلق السّماوات والأرض، أو استقلُّوا بشيء من التّدبير والتّأثير والإيجاد، ولو في خَلْق ذَرّة من الذَّرات، قال تعالى﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾[2].

وقد أخبرنا الله -عزّ وجلّ- أنّهم لم يُسوُّوهم به في خلقٍ ولا رزقٍ ولا إحياءٍ ولا إماتةٍ، ولا في شيءٍ من تدبير الملكوت، بل أخبرنا أنّهم مقرّون لله تعالى بالرّبوبيّة:﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴾[3]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث، ولكنّهم سوّوهم بالله تعالى في حبّهم إيّاهم كحبّ الله ولم يجعلوا المحبّة لله وحده، وفي خوفهم منهم وخشيتهم كخشية الله ولم يجعلوا الخشية لله والخوف من الله وحده، وأشركوهم في عبادة الله ولم يفردوا الله بالعبادة دون من سواه، مع أنّهم لم يعبدوهم استقلالًا، بل زعموهم شفعاء لهم عند الله ليقرّبوهم إلى الله زلفى، ولكن اعتقدوا تلك الشّفاعة والتّقريب مُلكًا للمخلوق ويطلبونه منه، وأنّ له أن يشفع بدون إذن الله، والله يقول:﴿ مَا مِن

[1] شرح كشف الشُّبهات: (ص: 13)، لمحمّد بن إبراهيم آل الشيخ، [ط:1419/1هـ].

[2] [الزّمر: 33-34]. يُنظر البيان والإشهار: (ص: 73).

[3] [الزّخرف: 9].

﴿ شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ﴾[1]، ولهذا سمّى الله تعالى استشفاعهم ذلك شركًا، كما قال تعالى:﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[2]، فجمعوا في ذلك بين شركين:

الأوّل: عبادتهم إياهم من دون الله عزّ وجلّ.

والثّاني: جعلهم شفعاء بدون إذن الله.

وهذا بخلاف مشركي زماننا اليوم من عبّاد القبور وغيرها فإنهم يشركون في الشّدّة أضعاف شركهم في الرّخاء، حتى إن كانوا ينذرون لهذا الوليّ في الرّخاء ببعيرٍ أو تبيعٍ أو شاةٍ أو دينارٍ أو درهمٍ أو نحو ذلك فأصابتهم الشّدّة، زادوا ضعف ذلك فجعلوا له بعيرين أو تبيعين أو شاتين أو دينارين أو درهمين أو غير ذلك.

وأيضا فإنّهم يعتقدون فيهم من صفات الرّبوبية وأنهم متصرّفون فيما لا يقدر عليه إلّا الله، وغلا بعضهم حتّى جعل منهم المتصرّف في تدبير الكون على سبيل الاستقلال[3].

يَقْصِدُهُ عِنْدَ نُزُولِ الضُّرِّ ... لِجَلْبِ خَيْرٍ أَوْ لِدَفْعِ الشَّرِّ

أَوْ عِنْدَ أَيِّ غَرَضٍ لَا يَقْدِرُ ... عَلَيْهِ إِلَّا الْمَالِكُ الْمُقْتَدِرُ

مَعْ جَعْلِهِ لِذَلِكَ الْمَدْعُوِّ ... أَوِ الْمُعَظَّمِ أَوِ الْمَرْجُوِّ

فِي الْغَيْبِ سَلَّطَانًا بِهِ يَطَّلِعُ ... عَلَى ضَمِيرِ مَنْ إِلَيْهِ يَفْزَعُ

أمّا قول الجاهل المفتري بأنّ الوهّابيّة يعتقدون أنّ الله جسمٌ استوى على عرشه في السّماء، وذمُّه إيّاهُم في هذا الاعتقاد، فهذه دعوةٌ صريحة لتعطيل الصّفات، وللطّعن في الذّات العليّة لربّ الأرض والسّموات، فالإمام والنّاصرون للحقّ من أتباعه، هم وسطٌ في باب صفات الله تعالى بين أهل التّعطيل الجهميّة وأهل التّمثيل المشبّهة، وهم وسطٌ في باب أفعال الله تعالى بين الجبريّة والقدريّة، وفي باب وعيد الله بين المرجئة، والوعيديّة من القدريّة وغيرهم، وفي باب الإيمان والدّين بين الحروريّة والمعتزلة، وبين المرجئة والجهميّة، وفي أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–بين الرّافضة والخوارج[4].

---

[1] [يونس: 3].

[2] [يونس: 18].

[3] يُنظر معارج القبول شرح سُلّم الوصول: (485/2)، لحافظ الحكمي، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم–الدمام، [ط:1410/1هـ].

[4] المصدر نفسه: (ص: 61–144–210).

لقد أجمل هذا الملحد فريته، فلم يذكر وجه هذا التّجسيم الذي قرّره الوهّابيُّون في اعتقادهم، كما زعمه، وقصدُه في هذا التّدليس: إخفاء مذهبه الباطل، فهو جهميٌّ معطّل، ويعني بالتّجسيم إثبات صفات الباري جلّ وعلى، كما هي واردة في الكتاب والسنّة وكما عليه سلف الأمّة، من الإيمان بالله وبما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله–صلّى الله عليه وسلّم–، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير فلا ينفون تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأنّ الله﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، عنه ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسولُه –صلّى الله عليه وسلّم–ولا يحرّفون الكلِمَ عن مواضعه، ولا يُلحِدون في أسمائه وآياته، ولا يمثّلون صفاته بصفات خلقه، لأنّه سبحانه لا سَمِيَّ له، ولا كُفء ولا ندّ ولا نظير، ولا يُقاس بخلقه سبحانه:﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[2]

فأمّا هؤلاء المبتدعة من الجهميّة والمعتزلة، ومن قابلهم في بدعتهم من المجسّمة، أمثال هذا الملحد فإنّهم فهموا ممّا وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله–صلّى الله عليه وسلّم–التّشبيه والتّجسيم، ثمّ شرعوا في ردّ الكتاب والسنّة بالتّأويلات المستنكرة، والتّحريفات المزوّرة، وضلّوا ضلالين لأنّهم شبّهوا ابتداءً ثمّ عطّلوا انتهاءً.

وأمّا السّلف الصّالح ومن تبعهم من الخلف، فمسلكهم مسلكٌ بين مسلكين وهُدًى بين ضلالين، أثبتوا بغير تشبيهٍ ولا تمثيلٍ، ونزّهوا بغير تحريفٍ ولا تعطيلٍ، فأنكروا مذهب الجهميّة والمعتزلة، وردُّوا على من قابلهم من المجسِّمة والممثِّلة، فالأوّلون كالجَهْم والجَعْد والمرّيسِي، ومن تبعهم من أئمّة التّعطيل، والآخرون كمحمّد بن كُرّام وهشام بن الحكم، وهشام بن الجواليقي، أئمّة التّشبيه والتّمثيل، وقد حمى الله السّلف عن هذين الطّريقين، وبرّأهم عن مسلك الفريقين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية–رحمه الله تعالى–في سياق كلام له عن هؤلاء المبتدعة–: فإنّ السّلف–رضي الله عنهم– إذا رأوا الرَّجل قد أغرق في نفي التّشبيه من غير إثبات للصّفات، قالوا: هذا جَهمِيٌّ مُعطِّلٌ...وهذا كثير في كلامهم جدًّا، فإنّ الجهميّة والمعتزلة إلى اليوم يُسمُّون من أثبت شيئًا من الصِّفات مُشبّهًا، كذبًا وافتراء، حتّى إنّ منهم من غلا حتّى رمى بعض الأنبياء بالتّشبيه، وهو ثمامة بن الأشرس من رؤساء الجهميّة، وحتّى إنّ أكثر المعتزلة يُدخِل عامّة الأئمّة في قسم التّشبيه، مثل الإمام

[1] [الشّورى، الآية: 11].

[2] [الإخلاص، الآيات: 1-4].

مالك وأصحابه، والثّوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والشّافعي وأصحابه، وإسحاق بن راهويه وأبي عبيد وغيرهم، وقد صنّف أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن درباس الشّافعي جزءًا سمّاه "تنزيه أئمّة الشّريعة عن الألقاب الشّنيعة"..."[1]اهـ.

إذا تبيّن هذا، فاعلم أنّ الإمامَ محمّد بن عبد الوهّاب–رحمه الله تعالى–وأتباعَه مذهبُهم في صفات الله تعالى مذهب سلف الأمّة وأئمّتها من الصّحابة والتّابعين ومن تبعهم، مثل هؤلاء الأئمّة الذين ذكرهم شيخ الإسلام، لا يخالفونهم في شيء من هذه العقيدة، وكلام الإمام محمّد في تحقيق عقيدة السّلف الصّالح في جميع مصنّفاته: أشهر من أن يذكر، وأكثر من أن يحصر، فمن نسب إليه وإلى أتباعه قولًا أو مذهبًا خلاف ما عليه هؤلاء الأئمّة، فقد افترى عليهم وسيجزيه الله تعالى بما توعّد به من أمثاله من المفترين[2].

14–الشّبهة الرّابعة عشرة: قول المجرم:" وقد أخبر رسول الله عن هؤلاء الخوارج....."::

لقد زعم هذا الأفّاك أنّ الوهّابية أو أتباع الإمام–رحمه الله–من الخوارج الذين يمرقون من الدِّين كما يَمرقُ السّهمُ من الرّميّة، لا يعودون فيه حتّى يعود السّهم إلى فُوقِه، وهذا إجرامٌ في المقال، ومكرٌ في الجدال، تكاد تتزلزلُ منه الجبال، أن ادَّعى المجرم عليهم ما ادّعاه من انتسابهم إلى الخوارج، مع براءتهم من هذا الزّعم والبهتان، وطالما حصل التباسٌ بين الوهّابيّة والوَهبيّة الخارجيّة أتباع بن رستم، وهذا خطأٌ تاريخيٌّ لابُدّ أن يُصحّح، وزورٌ وادّعاءٌ ينبغي أن يُفضح، فالجواب على هذا كالآتي:

1–أوّلًا: إنّ الإمام محمّد بن عبد الوهاب، عندما أفتى اللّخمي وغيره من علماء المالكيّة في الأندلس، وفي الشّمال الإفريقيّ، عن الفرقة الوهّابيّة الخارجيّة كان أكثر من اثنين وعشرين من أجداده لم يولدوا بعد، باعتبار أنّ المتوسط لكلّ قرن ثلاثة جدود، كما أنّ بين وفاة عبد الوهاب بن رستم ووفاة الإمام ما يقرب من واحد وثلاثين جدًّا، وعلماء المسلمين لا يعلمون الغيب، وننزّههم عن الكِهانة والسِّحر، وعن القول في أمرٍ لا يعلمونه.

ولد عام 1115هـ، ومات سنة 1206 هـ، وبينه وبين أحمد الونشريسي الذي ألّف كتاب "المعيار"، ونقل الفتوى عن اللّخميّ مئتان واثنتان وتسعون سنة (292) وفق تاريخ الوفاة، كما أنّ بين الإمام وبين اللّخمي، وهو صاحب الفتوى سبعمائة وثمانية وعشرون عامًا (728).

---

[1] سبق تخريجه.

[2] يُنظر البيان والإشهار: (ص: 116).

لم يهتم علماء شمال إفريقيا والأندلس، بالفتاوى عن الوهابيّة والتّحذير منها، إلّا لأنّها موجودةٌ عندهم بخلاف ديار المسلمين الأخرى، التي وضّح فرقها الشّهرستاني في كتابه: "المِلَل والنِّحَل"، وابن حزم في كتابه: "الفصل في المِلَل والأهواء والنِّحَل". وفي كتاب: "الفرق الإسلاميّة في شمال إفريقيا"، الذي ألفّه الفرنسي: ألفرد بلى، وترجمه: عبد الرّحمن بدوي، قال عند حرف الواو: "الوهبية أو الوهّابية: فرقةٌ خارجيّةٌ إباضِيّة أنشأها عبد الرحمن بن عبد الوهّاب بن رُستُم، الخارجيّ الإباضِيّ، وسُمّيت باسمه وهابيّة، الذي عطّل الشّرائع الإسلاميّة، وألغى الحجّ، وحصل بينه وبين معارضيه حروب....المتوفى عام 197هـ، بمدينة تاهِرت بالشّمال الأفريقي"، وأخبر بأنّ فرقته أخذت هذا الاسم، لما أحدثه في المذهب من تغيرات ومعتقدات، وكانوا يكرهون الشّيعة قدر كراهيّتهم لأهل السنّة.

وعبد الوهاب بن رُستم قد اختلف في تاريخ وفاته، عند من كتب عنه، ويرى الزِّرْ كلي في (الأعلام): أنّ وفاته نحو: 190هـ.

فهذه هي الوهّابيّة التي فرقّت بين المسلمين، وصدرت بشأنها فتاوى من علماء وفقهاء الأندلس وشمال أفريقيا، كما تقرّر في كتب العقائد، وهم محقّون فيما قالوا عنها.

أمّا دعوة الإمام محمّد التي ناصرها الإمام محمّد بن سعُود –رحمهما الله–السّلفيّة التّصحيحيّة، فهي ضدّ الخوارج وأعمالهم، لأنّها قامت على كتاب الله، وما صحّ من سنّة رسوله، ونَبذِ ما يُخالفهما وهم من أهل السنّة والجماعة.

والشُّبهة التي انتشرت في بلاد الإسلام قد روَّجَها أعداء الإسلام والمسلمين من مستعمرين وغيرهم لكي تبثّ الفُرقة في صفوفهم، فقد كان المستعمرون يسيطرون على غالب العالم الإسلاميّ في ذلك الوقت، وهو وقت عُنفوانهم، ويعلمون من واقع حروبهم الصليبيّة، أنّ عدوّهم الأوّل في تحقيق مآربهم: الإسلام الخالي من الشّوائب، وتمثّله السّلفيّة، ووجدوا ثوبًا جاهزًا ألبسُوه هذه الدّعوة المباركة تنفيرًا وتفريقًا بين المسلمين–لأنّ مبدأهم فَرِّق تسُد–حيث أنّ صلاح الدّين الأيُّوبي–رحمه الله– لم يخرجهم من ديار الشّام إلى غير رجعة، إلّا بعد أن قضى على دولة الفاطميّين العُبَيدِيّين الباطِنيّين من مصر، ثمّ استقدم علماء من أهل الشّام، ووزّعهم في الدّيار المصريّة، فتحوّلت مصر من التشيّع الباطنيّ إلى منهج أهل السنّة والجماعة، الواضح دليلًا وعملًا واعتقادًا.

فالمستعمرون خافوا من إعادة الكرّة، بعدما رأوا دولة التوحيد السنّية، التي قادها الإمامان: محمد بن عبد الوهاب، ومحمّد بن سعود، ثم من جاء بعدهما، تتّسع أعمالهما، ويكثر المستجيبون لما تهدف إليه

هذه الدّعوة، فالمستعمر ما دخل بلدةً إسلاميّة إلّا حاول إقصاء أهل السنّة، وتقريب أهل الأهواء والبدع، لأنّهم مطيَّتُه فيما يريد عمله في ديار الإسلام.

2–ثانيًا: أن دعوة الإمام محمّد تختلف عن دعوة جميع الفرق المخالفة لكتاب الله ولسنة رسوله، لأنّها دعوة تجديديّة على منهج السّلف الصّالح، ولم يأت بشيء يخالف ذلك.

3–ثالثًا: تسميّة الدّعوة التي قام بها الإمام بـ (وهّابيّة) نسبة إليه خطأٌ لغويٌّ، لأنّ والده لم يقم بها، وإلا لأشترك في هذه النسبة الوالد وأولاده، ومحمّد واحد منهم لتصبح نسبة مشتركة.

4–رابعًا: الإمام في دعوته لا يوافق الإباضيّة في آرائهم، ولا غيرهم من الفرق التي ذمّها علماء أهل السُنّة منذ نشأت في ديار المسلمين، وكتبه ورسائله توضّح ذلك.

5–خامسًا: أنّ ما نُسب إليه من أمور كذبًا وزورًا، قد تبرّأ منه ويقول في كلامه: سبحانك ربّي هذا بهتانٌ عظيمٌ[1].

15–الشُّبهة الخامسة عشرة: قوله الأخرق:" والتّوسّل بهم هو أنّهم أسباب ووسائل لنيل المقصود، وأنّ الله هو الفاعل كرامةً لهم...:

بعدما ذكر من عظيم سفهه خلاصة ما تمذهبت به الوهّابيّة، وما اشتملت عليه عقيدتهم من الأشياء العشرة، انبرى السّفيه يُقرّر مُعتقِدًا جواز التوسّل بالأنبياء والصّالحين، على كونهم وسائل لا مقاصد ذاتيّة، أنّه لا تُفسّر الزيارة بمعنى عبادة الأوثان، ولا يُشبَّه هذا التوسُّل بما يفعله مشركو العرب وغيرهم، فانظر ما أشقاه وأحمقه وأبعده عن الحقّ المبين.

إنّ التّوسّل بجاه المخلوقين كافّة، لم يشرعه الله تعالى ولا رسوله–صلّى الله عليه وسلّم–ولا فعله أصحابه، ولا التّابعون من بعدهم، ولا قال به الأئمة الأربعة رحمهم الله تعالى. وإذا كان ذلك كذلك فهو خلاف ما كان عليه رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم–وما كان عليه أصحابه رضي الله عنهم. وكذلك التابعون من بعدهم فيكون ذلك مردوداً على من جاء به بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنه قالت: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" وفي رواية: "من صنع أمراً على غير أمرنا فهو رد" هذا ولو لم يكن في هذا الحدّث إلا مخالفة أمر الرسول عليه الصلاة والسلام ومخالفة عمله وعمل أصحابه

[1] يُنظر تصحيح خطأ تاريخي حول الوهّابية: (ص: 16)، لمحمّد بن سعد الشويعر، [ط:1419/3هـ]، (بتصرّف).

رضي الله عنهم والتابعين من بعدهم، لكفى في رده. فضلاً عن أنه من أعظم وسائل الشرك في عبادة الله تعالى، كما هو معروف اليوم من أعمال الجهلة الغلاة بالقبور والمقبورين.

وأمّا زيارة قبر الرّسول–صلّى الله عليه وسلّم–فإنّها عند الوهّابيّة من أفضل الأعمال، وكذا زيارة المسلمين فإنّها سنّة، وذلك على ما شرعه رسول الله–صلّى الله عليه وسلّم–لأمّته فيما علَّمه لأصحابه، وأمّا شدّ الرِّحال لزيارة القبور: فحجّة المانعين لشدّ الرِّحال إليها أقوى.

أمّا استدلاله بقوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ"، فإنّه قصورُ فهمٍ، وضعفُ استدلالٍ، وقد قيل: **وكمْ من عائبٍ قولًا سَليمًا وآفتُه من الفهم السّقيمِ**

اعلم أنَّ جُمهور العلماء على أنَّ المراد بِالوَسِيلة هنا هو القُرْبَةُ إلى الله تعالى، بِامتِثال أوامِرِه، واجْتِناب نَواهِيه على وَفْق ما جاء به مُحَمَّدٌ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –بِإِخْلَاصٍ فِي ذلك لِلَّهِ تعالى، لِأنَّ هذا وحده هو الطَّرِيقُ المُوصِّلَةُ إلَى رِضى الله تعالى، ونيْلِ ما عنده من خير الدُّنيا والآخِرة.

وَأَصْلُ الْوَسِيلَةِ: الطَّرِيقُ الَّتِي تُقَرِّبُ إِلَى الشَّيْءِ، وَتُوَصِّلُ إِلَيْهِ وَهِيَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاء، لِأَنَّهُ لَا وَسِيلَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِاتِّبَاعِ رَسُولِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَعَلَى هَذَا فَالْآيَاتُ الْمُبَيِّنَةُ لِلْمُرَادِ مِنَ الْوَسِيلَةِ كَثِيرَةٌ جِدًّا كَقَوْلِهِ تَعَالَى: "وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا" ، وَكَقَوْلِهِ: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي"، وَقَوْلِهِ: "قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ"، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ–رضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَسِيلَةِ الْحَاجَةُ، وَلَمَّا سَأَلَهُ نَافِعٌ الْأَزْرَقُ هَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ؟ أَنْشَدَ لَهُ بَيْتَ عَنْتَرَةَ: [الْكَامِلُ]

إِنَّ الرِّجَالَ لَهُمْ إِلَيْكِ وَسِيلَةٌ إِنْ يَأْخُذُوكِ تَكَحَّلِي وَتَخَضَّبِي

قَالَ: يَعْنِي لَهُمْ إِلَيْكِ حَاجَةٌ، وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ الَّذِي رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَالْمَعْنَى: وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ، وَاطْلُبُوا حَاجَتَكُمْ مِنَ اللَّهِ، لِأَنَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهَا، وَمِمَّا يُبَيِّنُ مَعْنَى هَذَا الْوَجْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: "إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ" وَقَوْلُهُ: "وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ"، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ».

قَالَ الشّنقيطيّ–عَفَا اللَّهُ عَنْهُ–: التَّحْقِيقُ فِي مَعْنَى الْوَسِيلَةِ هُوَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ عَامَّةَ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَنَّهَا التَّقَرُّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْإِخْلَاصِ لَهُ فِي الْعِبَادَةِ، عَلَى وَفْقِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَتَفْسِيرُ ابْنِ عَبَّاسٍ دَاخِلٌ فِي هَذَا، لِأَنَّ دُعَاءَ اللَّهِ وَالِابْتِهَالَ إِلَيْهِ فِي طَلَبِ الْحَوَائِجِ مِنْ أَعْظَمِ أَنْوَاعِ عِبَادَتِهِ الَّتِي هِيَ الْوَسِيلَةُ إِلَى نَيْلِ رِضَاهُ وَرَحْمَتِهِ.

وَبِهَذَا التَّحْقِيقِ تَعْلَمُ أَنَّ مَا يَزْعُمُهُ كَثِيرٌ مِنْ مَلَاحِدَةِ أَتْبَاعِ الْجُهَّالِ الْمُدَّعِينَ لِلتَّصَوُّفِ مِنْ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوَسِيلَةِ فِي الْآيَةِ الشَّيْخُ الَّذِي يَكُونُ لَهُ وَاسِطَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، أَنَّهُ تَخَبُّطٌ فِي الْجَهْلِ وَالْعَمَى وَضَلَالٌ مُبِينٌ وَتَلَاعُبٌ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاتِّخَاذُ الْوَسَائِطِ مَنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ أُصُولِ كُفْرِ الْكَفَّارِ، كَمَا صَرَّحَ بِهِ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ عَنْهُمْ: "مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى"، وَقَوْلِهِ: "وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"، فَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الطَّرِيقَ الْمُوَصِّلَةَ إِلَى رِضَى اللَّهِ وَجَنَّتِهِ وَرَحْمَتِهِ هِيَ اتِّبَاعُ رَسُولِهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَمَنْ حَادَ عَنْ ذَلِكَ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ، لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ".

وَالظَّاهِرُ أَنَّ الْوَسِيلَةَ فِي بَيْتِ عَنْتَرَةَ مَعْنَاهَا التَّقَرُّبُ أَيْضًا إِلَى الْمَحْبُوبِ، لِأَنَّهُ وَسِيلَةٌ لِنَيْلِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ، وَلِذَا أَنْشَدَ بَيْتَ عَنْتَرَةَ الْمَذْكُورَ ابْنُ جَرِيرٍ، وَالْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُمَا لِهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرْنَا، وَجَمْعُ الْوَسِيلَةِ: الْوَسَائِلُ، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ: [الطَّوِيلُ]

إِذَا غَفَلَ الْوَاشُونَ عُدْنَا لِوَصْلِنَا وَعَادَ التَّصَافِي بَيْنَنَا وَالْوَسَائِلُ

وَهَذَا الَّذِي فَسَّرْنَا بِهِ الْوَسِيلَةَ هُنَا هُوَ مَعْنَاهَا أَيْضًا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ" الْآيَةَ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْوَسِيلَةِ أَيْضًا الْمَنْزِلَةَ الَّتِي فِي الْجَنَّةِ الَّتِي أَمَرَنَا–صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–أَنْ نَسْأَلَ لَهُ اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهَا، نَرْجُو اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهَا، لِأَنَّهَا لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ، وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ هُوَ"[1] اهـ.

وتخريف هذا وأمثاله يدُلُّ على تعسُّفٍ ومُجازفات، ويدُلُّ على جهل يؤدّي إلى الخلط الشّنيع بين التّوسُّل والاستغاثة، ويؤدّي ثانيًا إلى هدم قواعد التّوحيد، وتحريف نصوص الكتاب والسنّة، ويؤدّي إلى تضليل الأمّة الإسلاميّة وإيقاعهم في مهاوي الشّرك بحجّة أنّ الآيات التي تضلّل وتكفّر من يدعو غير الله إنّما تعني كفّار قريشٍ والعرب خاصّة، فإذا دعا القرشيّ أو غيره من العرب غير الله في وقت نزول القرآن وقبله فهو مشركٌ كافرٌ، وإذا دعا غير الله من يدّعي الإسلام، فهذا في نظرهم جائزٌ أو هو ممّا يقرّب إلى الله زلفى.

قال ابن تيميّة–رحمه الله–:

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: (403/1)، لمحمد الأمين الشّنقيطيّ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، [ط:1415هـ].

إنّ لفظ الوسيلة والتّوسّل، فيه إجمالٌ واشتباهٌ، يجب أن تعرف معانيه ويعطى كلّ ذي حق حقه. فيعرف ما ورد به الكتاب والسنة من ذلك ومعناه، وما كان يتكلم به الصّحابة ويفعلونه ومعنى ذلك، ويعرف ما أحدثه المحدثون في هذا اللفظ ومعناه، فإنّ كثيرا من اضطراب النّاس في هذا الباب هو بسبب ما وقع من الإجمال والاشتراك في الألفاظ ومعانيها، حتّى تجد أكثرهم لا يعرف في هذا الباب فصل الخطاب.

فلفظ الوسيلة مذكور في القرآن في قوله تعالى﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾ ﴾[1].

فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغي إليه، وأخبر عن ملائكته وأنبيائه أنهم يبتغونها إليه، هي ما يتقرب به إليه من الواجبات والمستحبات، فهذه الوسيلة التي أمر الله المؤمنين بابتغائها تتناول كل واجب ومستحب، وما ليس بواجب ولا مستحب لا يدخل في ذلك، سواء كان محرما أو مكروها أو مباحا، فالواجب والمستحب هو ما شرعه الرسول فأمر به أمر إيجاب واستحباب. وأصل ذلك الإيمان بما جاء به الرسول. فجماع الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها، هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول، لا وسيلة لأحد إلى الله إلّا ذلك.

وفي الأحاديث الصحيحة:

كقوله-صلى الله عليه وسلم-: «سلوا الله لي الوسيلة فإنها درجة في الجنة لا تنبغي إلّا لعبد من عباد الله. وأرجوا أن أكون أنا ذلك العبد فمن سأل الله لي الوسيلة حلّت عليه شفاعتي يوم القيامة".

فهذه الوسيلة للنبيّ-صلّى الله عليه وسلّم-خاصّة، قد أمرنا أن نسأل الله له هذه الوسيلة، وأخبرنا أنها لا تكون إلا لعبد من عباد الله.

فلفظ التوسّل يراد به ثلاث معان:

-أحدهما: التوسّل بطاعته، فهذا فرض لا يتمّ الإيمان إلّا به.

-الثّاني: التوسّل بدعائه وشفاعته وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

-الثّالث: التوسّل به، بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، فهذا هو الذي لم تكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه، لا في حياته ولا بعد مماته، لا عند قبره ولا غير قبره، ولا يعرف هذا في

[1] [الإسراء: 56- 57].

شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنّما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة، أو عمّن ليس قوله حجّةً[1].

ومن جهله أنّه قال: فقد توسّل-صلّى الله عليه وسلّم-فقال" إنّي أسألك بحقِّ السّائلين عليك"، بكلّ عبدٍ مؤمن، وأمر أصحابه أن يدعوا بهذا الدّعاء.... إلى آخر ما هرِف به، فالجواب على هذا من ناحتين:

أ-النّاحية الأولى: من ناحية السّند:

قال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة: ضعيف.

أخرجه ابن ماجه: (1/ 261- 262) وأحمد (3 / 21) والبغويّ في "حديث علي بن الجعد": (9/ 93 / 3)، وابن السُّنّي (رقم 83) من طريق فضيل بن مرزوق عن عطيّة العوفيّ عن أبي سعيد الخدريّ مرفوعًا به، وهذا سندٌ ضعيفٌ من وجهين:

أ-الوجه الأوّل: فضيل بن مرزوق وثّقه جماعة وضعّفه آخرون.

وقول الكوثري في بعض "مقالاته": وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث، ولم يضعِّفه سواه، وجرحُه غير مُفسَّر، بل وثّقه البُستيّ، فيه أخطاءُ مكشوفةٌ:

أوّلًا: قوله لم يضعّفه غير أبي حاتم، فإنه باطل، وما أظنّ هذا يخفى على مثله، فإنّ في ترجمته من " التّهذيب"، بعد أن حكى أقوال الموثقين له ما نّصه: وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: صالح الحديث، صدوق يهم كثيرًا يكتب حديثه قلت: يحتج به؟ قال: لا، قال النّسائيّ: ضعيفٌ.

ثانيًا: قوله: وجرحه مفسر: غير فهذا غير مسلم به، بل هو في نفس كلام أبي حاتم الذي نقلته، وهو قوله مفسر يهِمُ كثيرًا، وقد اعتمد الحافظ ابن حجر هذا القول فقال في ترجمته: صدوقٌ يهِم، فمن كان يهِم في حديثه كثيرًا، فلا شكّ أنّه لا يُحتجُّ به كما هو مُقرر في محلّه من علم المصطلح.

ثالثًا: قوله: بل وثّقه البُستي: قلت: البُستي هو ابن حبّان، وإنّما عدل الكوثريّ عن التّصريح باسم (ابن حبان)، إلى ذكر نسبته (البستي) تدليسًا وتمويهًا، وقد علمت أنّ ابن حبّان كان له فيه قولان، فمرة

[1] ينظر القاعدة الجليلة في التوسّل والوسيلة: (ص25)، لابن تيمية، ت: ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان – عجمان، [ط:1/1422هـ]، وألّف علّامة الشّام ومُحدّثها الشيخ محمّد ناصر الدّين الألباني حفظه الله كتابا في التوسّل وأحكامه فأجاد وأفاد، ولنسيب الرّفاعيّ أحد كبار تلاميذ الشّيخ الألباني كتاب "التوصل إلى حقيقة التوسل" أجاد فيه وأفاد، ولكن ميزةُ ما كتبه شيخ الإسلام في هذا الكتاب، أنّه وضع قضيّة التّوحيد نصب عينيه، فجعل من الكتابة عن التّوسّل وسيلة إلى توضيح قضايا التّوحيد، ووسائله وقضايا الشّرك ووسائله معتمدًا في توضيحه على الكتاب والسنّة وقواعد التّوحيد والأصول واللّغة والتّاريخ، (نقلًا عن المحقّق).

أورده في" الثقات"، وأخرى في "الضعفاء"، لأنّه بين فيه سبب ضعفه، فهو جرح مفسّر والاعتماد على هذا أولى فيقدم على التّعديل، كما تقرّر في المصطلح أيضًا.

ب–الوجه الثاني: في تضعيف الحديث: أنّه من رواية عطيّة العوفيّ، وهو ضعيفٌ أيضًا، قال الحافظ في "التقريب": صدوقٌ يخطئ كثيرًا كان شيعيًّا مُدلّسًا، فهذا جرحٌ مفسّرٌ، يقدّم على قول من وثّقه مع أنّهم قلة، وقد خالفوا جمهور الأئمّة الذين ضعّفوه وتجد أقوالهم في " تهذيب التهذيب " وعبارة الحافظ التي نقلتها عن "التّقريب"، هي خلاصة هذه الأقوال كما لا يخفى على البصير بهذا العلم فلا نطيل الكلام بذكرها، ولهذا جزم الذّهبيّ في "الميزان" بأنّه ضعيفٌ.....

إلى أن قال الألبانيّ: ثم بدا لي وجهٌ ثالثٌ في تضعيف الحديث، وهو اضطراب عطيّة أو ابن مرزوق في روايته، حيث أنّه رواه تارة مرفوعًا كما تقدم، وأخرى موقوفًا على أبي سعيد، كما رواه ابن أبي شيبة في "المصنّف" (12 / 110/ 1) عن ابن مرزوق به موقوفًا، وفي رواية البغويّ من طريق فُضيل قال: موقوفٌ.

ومن هنا يتبيّن للقارئ اللّبيب جملة القول أنّ هذا الحديث ضعيف من طريقيه، وأحدهما أشدُّ ضعفًا من الآخر، وقد ضعّفه البوصيري والمنذري وغيرهما من الأئمّة، ومن حسّنه فقد وهِم أو تساهل، وقد تكلّمت على حديث بلالٍ هذا، وكشفت عن تدليس الكوثريّ"[1] اهـ.

–النّاحية الثّانية: من جهة المتن:

لقد ورد لفظ الحديث" بحقّ السّائلين عليك"، وحقّ السّائل على ربّه هو الإجابة، فيكون سأل الله بصفة من صفاته، كما في قوله تعالى" وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيبُ دعوة الدّاع إذا دعان" الآية، أي أنّه يتوسّل إلى الله –عزّ وجلّ–بإجابته للدّعاء، وكونه مُجيبًا ومُتّصفًا بالإجابة، ومن أسمائه المجيبُ، فلا يجوز الاستشهاد به كما فعل الكوثريّ والغماريّ في (مصباح الزجاجة)، ومع كون هذا الحديث ضعيفًا، فهو لا يدلُّ على التوسُّل بالمخلوقين أبدًا، وإنّما يعودُ إلى أحد أنواع التّوسُّل المشروع، وهو التّوسُّل بصفةٍ من صفاته –عزّ وجلّ–لأنّ فيه التّوسُّل بحقّ السّائلين على الله وبحقّ ممشى المصلّين، وهو أن يغفِر الله له ويُدخلَه الجنّة، ومغفرةُ الله –تعالى– ورحمتُه، وإدخالُه بعض خلقه

[1] ينظر السّلسلة الضّعيفة: (88/1)، لمحمّد ناصرالدّين الألباني، دار المعارف–الرّياض، [ط:1412/1هـ].

ممّن يطيعه الجنّة، كلّ ذلك صفات له -تبارك وتعالى-، وبهذا تعلم أنّ هذا الحديث الذي يحتجُّ به المبتدعون ينقلب عليهم، ويصبحُ بعد فهمه فهمًا جيّدًا حُجّة لنا عليهم، والحمد لله على توفيقه[1].

ثمّ إنّ هذا الجاهل قد أكثر من الاستدلالات المنحرفة، والتّأويلات المنقرفة، من وحي الشّياطين، وهذر المجانين، فكان كالمنبتّ بالسّأم، لا أرضًا قَطَع، ولا ظهرًا أبقَى، ولا دليل نَصَع، ولا قلبًا أنقى، زاعمًا بعد هذا كلّه أنّ الوهّابية تتظاهر بالتّوحيد، وتجوّز التوسّل بالأحياء، وأنّ الشّرك تغلغل في عروقها.

16-الشُّبهة السّادسة عشرة:

ممّا أوحى إليه شيطانه أنّه استدلّ بحديث أنس بن مالك أنّ عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-كان إذا قحطوا استسقى بالعبّاس ابن عبد المطّلب فقال: اللّهم إنّا كنّا نتوسّل إليك بنبيّنا-صلّى الله عليه وسلّم-فتسقينا، وإنّا نتوسّل إليك بعمّ نبيّنا فاسْقِنا قال: فيُسقَون".

فمعنى قول عمر: "إنّا كنّا نتوسل إليك بنبيّنا-صلّى الله عليه وسلّم- وإنّا نتوسّل إليك بعَمّ نبيَّنا"، أنّنا كنّا نقصدُ نبيَّنا-صلّى الله عليه وسلّم- ونطلب منه أن يدعو لنا، ونتقرّب إلى الله بدعائه، والآن وقد انتقل-صلّى الله عليه وسلّم- إلى الرّفيق الأعلى، ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا، فإنّنا نتوجّه إلى عَمّ نبيّنا العبّاس ونطلب منه أن يدعوَ لنا، وليس معناه أنّهم كانوا يقولون في دعائهم: اللّهم بجاه نبيّك اسقنا ثم أصبحوا يقولون بعد وفاته-صلّى الله عليه وسلّم-:" اللّهم بجاه العبّاس اسقنا"، لأنّ مثل هذا دعاءٌ مُبتَدعٌ ليس له أصلٌ في الكتاب ولا في السُّنَّة، ولم يفعله أحدٌ من السّلف الصّالح-رضوان الله عليهم-.

فهذا معاوية-رضي الله عنه-أيضًا لا يتوسّل بالنبيّ-صلّى الله عليه وسلّم-لما سبق بيانه وإنّما يتوّسل بهذا الرّجل الصّالح: يزيد بن الأسود رحمه الله تعالى فيطلب منه أن يدعو الله تعالى ليسقيهم ويغيثهم، ويستجيب الله تبارك وتعالى طلبه، وحدث مثل هذا في ولاية الضّحاك ابن قيس أيضًا.

فمِمَّا سبق تعلم أنّ التّوسّل المشروع الذي دلّت عليه نصوص الكتاب والسُّنّة، وجرى عليه عملُ السّلف الصّالح، وأجمع عليه المسلمون هو:

1 -التّوسّل باسمٍ من أسمائه الله -تبارك وتعالى-أو صفةٍ من صفاته.

[1] التوسُّل أنواعه وأحكامه: (ص: 100)، للألبانيّ، المكتب الإسلامي -بيروت، [ط: 3].

2 -التّوسّل بعملٍ صالحٍ قام به الدّاعي.

3 -التّوسّل بدعاء رجلٍ صالحٍ.

وأمّا ما عدا هذه الأنواع من التّوسُّلات ففيه خلافٌ، والذي يعتقدهُ الإمام وأتباعه ويدينون الله تعالى أنّه غير جائز ولا مشروع، لأنّه لم يرد فيه دليلٌ تقوم به الحجّة، وقد أنكره العلماء المحقِّقُون في العصور الإسلاميّة المتعاقبة، مع أنّه قد قال ببعضه بعض الأئمّة فأجاز الإمام أحمد التوسّل بالرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-وحده فقط، وأجاز غيره كالإمام الشّوكاني التّوسُّل به وبغيره من الأنبياء والصّالحين، ولكن المدار مع الدّليل ولا نتعصب لآراء الرّجال[1].

أمّا هذه الأبيات الأربعة التي استشهد بها الجاهل على جواز التّوسّل بذات رسول الله، ليس فيها معاني التّوسّل الذي يعنيه، وبخاصّة في البيت الثّاني وهو قوله:

وإنك أدنى المرسلين وسيلة إلى الله يا ابن الأكرمين الأطايبِ

ولا ريب أنّ العمل الذي عمله رسول الله هو أعظم أعمال الأنبياء، فصار بذلك أوفى المرسلين إلى الله وسيلةً، أي قربةً ومنزلةً، فصار بذلك أدناهم وأقربهم إلى الله تعالى، فليس فيه أيّ معنًى من معاني التّوسُّل بذوات المخلوقين.

وكن لي شفيعًا يوم لا ذو شفاعَةٍ بمُغنٍ قتيلاً عن سَوادِ بن قارِبِ

وكذلك ليس في البيت الأخير ما يعينه على مراده ألبته، لأنّ سواد بن قارب يخاطب رسول الله، ويرجوه أن يدعو الله تعالى أن يكون له شفيعًا يوم القيامة، والخطاب هذا ولا شكّ كان في حياته، وطلبُ الشّفاعة منه حال حياتِه لا بأس به، لأنّه طلبٌ لدُعائِه، لأن يكون سوادٌ في جملة من يُشفِّعهُ الله بهم يوم القيامة، أي يأذن له بالشّفاعة فيهم فما الذي في هذا البيت من معاني التوسل بذوات المخلوقين؟!، اللّهم إلا إذا كان الإسكندرانيّ يريد أن يحمل الألفاظ ليستقيم مراده!!.

فهذا شيءٌ آخر إنّما لا يقرّ على ذلك، فإنّ اللّغة العربيّة التي خلق الله مفاهيمها، ومدلولات ألفاظها لا تخضع إلى مراد الإسكندرانيّ، فقواعد اللّغة ثابتةٌ، ومعانيها فرغ منها، فلا مطمع لأحدٍ في تغييرها على ما يحب ويهوى.

والخلاصة: ليس في متن هذه الأبيات أيُّ معنًى من معاني التّوسُّل المعروف عند الجاهل ومن البداهة بعد ذلك ألّا يصلح هذا الحديث حجّة ولا دليلً، على مراد التوسُّل بذوات المخلوقين فسقطت حجّة

[1] يُنظر التوسل أنواعه وأحكامه: (ص: 43).

الاستدلال به على ذلك متنًا، أمّا سندًا فقد ذكر الحافظ ابن حجر الهيثمي في كتابه:" مجمع الزّوائد"، أنّه حديثٌ ضعيفٌ، كما ثبت أنّ كافّة طرقه، ورواياته التي ورد فيها ضعيفةٌ واهِيةٌ[1].

ثمّ قال بعد هذا كلّه أنّ قول العامّي من المسلمين: يا عبد القادر أدركني، ويا بن العرب المدد، فيُحملُ على المجاز العقليّ–قبّح الله عقله–، فكلّما ساء قصده وقصر فهمه كان تأويله أشدّ انحرافًا، ولهذا كان التأويل الباطل فتحًا لباب الزّندقة والإلحاد، وتطريقًا لأعداء الدِّين على نقضه.

أمّا الكِتابُ فحَرِّفْ عَنْ مَواضِعِهِ إذْ لَيْسَ يُعْجِزُكَ التَّحْريفُ لِلْكَلِمِ

كذا الأحادِيثُ آحادٌ وليْس بِها بُرْهانُ حقٍّ ولا فصْلٌ لِمُخْتَصِمِ

وقَدْ أبَى اللهُ إلا نَصْرَ ما خَذَلُوا وكَسْرَ ما نَصَرُوا مِنْهُمْ عَلى رَغَمِ

17–الشّبهة السّابعة عشرة: قول الفتّان:" ولا يخفى أنّ الزّائر القبور يقصدُ بزيارتها إمّا الاستشفاع والتوسّل إلى الله بأصحابها...":

اعلم–أرشدك الله لطاعته–أنّ زيارة القبور ثلاثة أقسام: زيارةٌ سُنّيّةٌ، وزيارةٌ بدعيّةٌ، وزيارةٌ شركيّةٌ، والبداءة بالشّرعيّة لشرفها والندب إليها، ثمّ البدعيّة لكونها أخفّ جُرمًا من الشّركيّة ثمّ هي بعد ذلك.

–القسم الأوّل: الزّيارة السُّنّية.

فإن نوى الزّائرُ للقبور فيما أضمره في نفسه، وكانت نيّته بتلك الزّيارة ليتّعظ بأهل القبور، ويعتبر بمصارعهم إذ كانوا أحياء مثله، يؤمّلون الآمال، ويخوّلون الأموال، ويجولون في الأقطار بالأيّام والليال، ويطمعون في البقاء ويستبعدون الارتحال، فبينما هم كذلك إذا بصارخ الموت قد نادى، فاستجابوا له على الرّغم جماعات وفرادى، وأبادهم ملوكًا ونوابًا، وقُوّادًا وأجنادًا، وقَدِمُوا على ما قدَّمُوا غيًّا كان أو رشادًا، وصار لهم التُّراب لُحُفًا ومِهَادًا، بعد الغرف العالية التي كان عليها الحجاب أرصادًا، تساوى فيها صغيرهم وكبيرهم، وغنيّهم وفقيرهم، وشريفهم وحقيرهم، ومأمورهم وأميرهم، اتّفق ظاهر حالهم واتحدّ، ولا فرق للنّاظر إليهم يميز به أحدًا من أحد، وأمّا باطنًا فالله أكبر لو كشف للناظرين الحجاب، لرأوا من الفروق العجب العُجاب، فهؤلاء لهم طُوبى وحُسن مآبٍ، وأولئك في أسوء حالةٍ

[1] ينظر التوصّل إلى حقيقة التّوسّل: (ص: 269).

وأشدِّ العذاب، فليعلم الواقف عليهم، النّاظر إليهم أنّه بهم ملتحق، ولإحدى الحالتين مستحق، فليتأهّب لذلك، وليتبْ إلى العزيز المالك، وليلتجئ إليه من شرّ كل ما هنالك.

ثمّ قصد أيضًا دعاء الله –عزّ وجلّ–لنفسه وللأموات من المسلمين بالعفو من الله والصّفح عن الزّلّات، ولم يكن شدّ الرّحال نحوها، ولم يقل محظورًا شرعيًّا، كقول بعض السّفهاء، فتلك الزّيارة طريقةٌ نبويّة واضحةٌ ظاهرةٌ.

–القسم الثّاني: الزّيارة البدعيّة: إذا قصد الزّائرُ الدّعاء من الصّلاة وغيرها، أو الاعتكاف عند قبورهم أو نحو ذلك، والتوسّل بأهل القبور إلى الرّحمن –جلّ وعلا عمّا ائتفكَهُ أهل الزّيغ والضّلال–، فبدعةٌ مُحدثةٌ ضلالةٌ، لم يأذن الله تعالى بها، ولا أتى بها صاحبُ الرّسالة.

–القسم الثّالث: الزّيارة الشّركيّة:

وإن دعا الزّائرُ المقبورَ نفسَه من دون الله –عزّ وجلّ–، وسأل منه ما لا يقدر عليه إلّا الله–عزّ وجلّ– من جلب خيرٍ، أو دفع ضرٍّ، أو شفاء مريضٍ، أو ردّ غائبٍ، أو نحو ذلك من قضاء الحوائج، فقد أشرك في فعله ذلك بالله العظيم، وجحد حقّ الله–عزّ وجلّ–على عباده، وهو إفراده بالتّوحيد وعبادته وحده لا شريك له ونفي ضدّ ذلك عنه، وإن مات على ذلك فلا فلاح له أبدًا، ولو فعل ذلك نبيٌّ من أنبيائه لكان من الظّالمين[1].

وقد قال النّاظم–رحمه الله–:

ثمّ الزّيارةُ علَى أَقْسَامِ ثَلَاثَةٍ يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ
فَإِنْ نَوَى الزَّائِرُ فيما أَضْمَرَه في نفسهِ تَذْكِرَةً بِالآخرَه
ثمّ الدُّعا له وللأمواتِ بالعفو و الصّفح عن الزّلاتِ
وَلَمْ يَكُنْ شَدَّ الرِّحَالَ نَحْوَهَا وَلَمْ يَقُلْ هُجْرًا كَقَوْلِ السُّفَهَا
فتلك سنّةً أتتْ صريحه في السُّنن المثبتة الصّحيحه

[1] يُنظر معارج القبول: (515/2)، لحافظ الحكمي–رحمه الله تعالى–.

أو قَصَدَ الدُّعاءَ و التّوسُّلَا بهم إلى الرّحمن جَلَّ وعَلَا
فَبِدْعَةٌ مُحدَثَةٌ ضَلَالَه بَعِيدَةٌ عَن هدْي ذِي الرّسالَه
وَإنْ دَعَا المقْبُورَ نَفْسَهُ فَقَدْ أشرَكَ بِاللهِ العَظِيمِ وَ جَحَدْ
لَنْ يَقْبَلَ اللهُ تَعَالى مِنهُ صَرْفًا وَلَا عدْلًا فَيَعْفُ عَنْهُ
إذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشِكُ الغُفرانِ إلَّا اتّخاذُ النِّدِّ للرَّحْمنِ

ثمّ قام الجاهل المعتدي على شرع ربّ العالمين، بالاستدلال بفعل العوامّ من النّاس وهوامّهم كالأعراب، واستحسان الجهلة للشّرك والخرافات، ثمّ ختم هذيانه بالمنامات، وزعم أنّه لم يأتي بها دليلًا على جُرمه، ولا جعلها سُلطانًا في إثبات سُمّه، تمويهًا على ضعفاء العقول، وتلبيسًا على من اشتبهت عليه النُّقول، وأحال إلى "شفاء السّقام"، و"المواهب اللّدنيّة"، لبيان زيارة قبر سيّد الأنام-عليه الصّلاة والسّلام-، تأكيدًا لجهله، وسُقم فهمه، وضياع سهمه، وحجبه من ميراث النبوّة حجب حرمان، والله المستعان.

18-الشّبهة الثامنة عشرة: هذيانه في تنبيهه، ودجله في تمويهه:" وإنّما علم الرّجل في كلّ رسائله التّوحيد والشّرك، ليس إلّا.....كأنّ القرآن إنّما يدعو إلى التّوحيد ويزجر عن الشّرك فحسب...":

قال ابن القيّم-رحمه الله-:

"بل نقولُ قولًا كلّيًا: إنّ كلّ آيةٍ في القُرآن فهي مُتضمّنة للتّوحيد، شاهدةٌ به، داعيةٌ إليه، فإنّ القرآن: إمّا خبرٌ عن الله، وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه، فهو التّوحيدُ العِلمِيُّ الخَبرِيُّ، وإمّا دعوةٌ إلى عبادته وحده لا شريك له، وخَلْع كلّ ما يُعبد من دُونه، فهو التّوحيدُ الإرادِيُّ الطَّلَبِيُّ، وإمّا أمرٌ ونهيٌ، وإلزامٌ بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوقُ التّوحيد ومُكمِّلاتُه، وإمّا خبرٌ عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعتِه، وما فَعَل بهم في الدُّنيا، وما يُكرِمهم به في الآخرة، فهو جزاءُ توحيدِه، وإمّا خبرٌ عن أهلِ الشِّرك، وما فُعِل بهم في الدّنيا من النَّكَال، وما يحِلُّ بهم في العُقبى من العَذَاب، فهو خبرٌ عمّن خَرج عن حُكم التّوحيد، فالقرآن كلُّه في التّوحيد وحُقوقِه وجَزائِه، وفي شأنِ الشِّرك وأهلِه وجَزائِهم"[1] اهـ.

فيكفي الإمام شرفًا أن كرّس حياته، وأفنى قرطاسه، وكسَّر أقلامه، في الدّعوة إلى هذا العلم الشّريف، فإنّ شرف العلم بشرف المعلوم، ولمّا كان العلم للعمل قرينًا وشافعًا، وشرفُه لشرفِ معلومِه تابعًا، وكان علم التّوحيد هو العلم بالله وأسمائه، وصِفَاته، كان أشرف العلوم على الإطلاق، وأزكى الفنون لكلّ شَغوفٍ مُشتاق.

[1] يُنظر مدارج السّالكين: (418/3)، لابن قيّم الجوزية، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، [ط:1416/3هـ].

وقد دعا الجاهلُ مذهب الإمام بالمذهب المتين تهكُّمًا وازدراءً، وحَملَ عليه كذبًا وافتراءً، ورماه بكلّ فِرْية، وملأه ريبًا ومِرْية، ثمّ ذهب بعقله المخبول، يقارنُ بين الأئمّة الفحول، بين أحمد ومحمّد، وأنّه نقطةٌ من بحره، وغَرفةٌ من نَهره، ولم يبلغ درجة الاجتهاد كما بلغ، ولم يكن فيه النُّبوغ الذي نبغ، لكن حسبُ المقال أنّ كِلَا الإمامين إمام، ولكلٍّ منزلته عند الملك العلّام، ولا يعقلُ هذا إلّا ذووا الأفهام، أمّا الإسكندرانيّ فقد خاض غمار دياجير الظّلام، ولم يظفر إلّا الجهلَ، وميراثُ النُّبوّة عليه حرام.

هذا، وإنّ الإمام محمّد لم يأتِ بدين جديد، وما كان بِدْعًا من المصلحين إلّا أنّه أتى بالعلم والحديد، ليرجع النّاس إلى عقيدة التّوحيد، ويذكّرهم بأنّه حقُّ الله على العبيد.

فأذعن لدعوته الإصلاحيّة أهل البوادي والحضر، وسكّان الوبر والمدر، وقفلوا إليها من كلّ حدبٍ ينسلون كأنّهم جرادٌ منتشر، فدانت له جزيرة العرب، وخضعت لدعوته فلم يتمكّن أحدٌ من الهرب، إلّا النّزر اليسير، وغثاء المسير، وشِرْمِذَةٌ من البشر.

فهدى الله أهل الإيمان والبصر، ورزقهم فقه الدّليل والنّظر، وشَغَلهم بمراقبته وإدامة الفِكَر، في حُسن اتّعاضٍ ومُدَّكر، زاهدين في التعصّب للرّجال، واقفين مع الحجّة والاستدلال، يسيرون مع الحقّ أين سارت ركائبُه، ويستقلّون مع الصّواب حيث استقلّت مضاربُه، وحَقَّت الغِواية على أعداء الله والرُّسُل، من بعد ما تبيّن لهم الهدى واتّضحت السُّبُل، فخالفُوا سبيل المؤمنين، وشاقّوا خاتم النّبيّين، فرّقوا دينهم وكانوا شيعًا كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحون، وتَقَطَّعوا أمرهم بينهم زُبرًا وكلٌّ إلى ربّهم راجعون، جعلوا التّعصُّب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أموالهم التي بها يتّجرون، وآخرون منهم قنعوا بمحض التّقليد وقالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[1]، والفريقان بمعزلٍ عمّا ينبغي اتّباعه من الصّواب، ولسان الحقّ يتلو عليهم: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2].

[1] [الزّخرف: 23].

[2] [النّساء: 123].

الخاتمة:

وإنّه ممّا يُحزِنُ النفس ويُدْمي القلبَ، أن يُحارَبَ الإسلامُ عامّة، والسُّنّة على وجهِ الخصوص مِنْ أُناسٍ يُحْسبُونَ على الإسلام، ويُطعنُ الإسلامُ مِنْ قِبَلِهِمْ بعد أن فتحوا من قبلهم الثغرات لأعداء الإسلام من يهود وصليبّيين وعلمانيّين ورافضة، والذين من بني جلدتنا تلبّستهم الشّياطين، وأصبحوا أشدّ خطرًا وإضرارًا من أعداء الدّين، الحاقدين الكارهين، وقد يكون ما يقوم به هؤلاء لجهل في نفوسهم أو لحقدٍ دفينٍ أو لثأرٍ قديمٍ، وهم أصحاب الأهواء والبدع والمحْدَثاتِ، الذين لا يَعُونَ ولا يدركونَ خطورة ما يغامرون به من أجل دُنيَا فانِيةٍ، لا تَعدِل عند الله –جلّ وعلا– جَناح بعوضةٍ، ولكن هيهات فصُقُور السُّنة تُسْقِطُ خَفَافِيش الظَّلام المسِنّة.

ولطالما تربّصت ببلدنا الجزائر خاصّة أيدي خفيّة، أرادت ولا تزال محاربة العقيدة السّلفيّة، السّالمة من شوائب الشّرك والبدع والخرافات، التّي شجّع العدوّ الغاشم، والمستدمر الظّالم، بثّها في صفوف أهل البلد، وأدنى أصحابها أهل الشّقاء والنّكد، فضيّقوا المجال حتّى جاءهم المنتقد، وحاربوا بالمال صحيح المعتقد، واسترقوا السّمع على الإصلاح فرموا بالشّهاب، من فطاحلة الجمعيّة فكان كيدُهم كالسّراب، إلى أن صدر نهيق "البلاغ" الصُّوفيّ، يتبنّى الفكر الفلسفيّ، يردّ –في زعمه–على إصلاح العُقبيّ، فما أشبه اللّيلة بالبارحة عند من بخُبر القوم قد نُبِّي.

فليت شعري أنّ قومي يعلمون، ويتفطّنوا لدينهم ولا يغفلون، وليت شعري من ينكر على هذه الدُّور والمطابع، التي سوّدت الكتب والمطالع، ولا يهمّها إلّا القرش والقرشين، وليس عندها إلّا الهشُّ والمين.

فَإِنَّهَا نَصِيحَةٌ مُفيدَهْ تَجْتَثُّ تِلْكَ النفْرَةَ الْمُبِيدَهْ
بَلْ إِنَّهَا كَبَارِدِ الشَّرَابِ لِلْكَبِدِ الْحَرَّى مِنَ الْحِرَابِ
أَوْ هِيَ سَيْفٌ سُلَّ مِنْ قِرَابِ لَمْ يَنْثَلِمْ مِنْ كَثْرَةِ الضِّرَابِ
أَوِ الْغَوَانِي الْخُرَّدِ الْعِرَابِ جُلِيْنَ لِلْعُرْسِ عَلَى الزَّرَابِي

قال البشير الإبراهميّ–رحمه الله–:" يا قوم إنّ الحقّ فوق الأشخاص، وإنّ السّنّة لا تُسمىّ باسم من أحياها، وإنّ الوهّابيين قومٌ مُسلمون يُشاركونكم في الانتساب إلى الإسلام، ويفوقونكم في إقامة

شعائره وحدوده، ويفوقون جميع المسلمين في هذا العصر بواحدةٍ، وهي أنّهم لا يُقرُّون البدعة، وما ذنبهم إذا أنكروا ما أنكره كتاب الله وسنّة رسوله، وتيسّر لهم من وسائل الاستطاعة ما قدروا به على تغيير المنكر.

أَإذا وافقنا طائفةً من المسلمين في شيء معلومٍ من الدِّين بالضّرورة، وفي تغيير المنكرات الفَاشِية عندنا وعندهم-والمنكر لا يختلف حكمه بحكم الأوطان-تنسجُونَنا إليهم تحقيرًا لنا ولهم، وازدراءً بنا وبهم، وإن فرّقت بيننا وبينهم الاعتبارات، فنحن مالكيُّون برغم أنوفكم، وهم حنبليُّون برغم أنوفكم، ونحن في الجزائر وهم في الجزيرة، ونحن نُعمِل في طريق الإصلاح الأقلام، وهم يُعمِلون فيها الأقدام، وهم يُعمِلون في الأضرحة المعاول، ونحن نُعمِل في بانيها المقاول"[1] اهـ.

كما أنّ الدّارسين لهذه الدّعوة خرجوا بنتيجة:

1-أنّها ليست حزبًا له تنظيماته: وإنّما هي تجديد لدين الله على خُطى رسول الله-صلّى الله عليه وسلّم-وأصحابه الكرام وسلف هذه الأمّة الأخيار.

2-أنّها ليست مذهبًا يخالف به معتنقوه المذاهب الفقهيّة المعروفة.

3-أنّ الإمام محمّد بن عبد الوهّاب سلفيُّ العقيدة، شأنه شأن من يدعو إلى منهج السّلف الصالح في كلّ عصر ومصر، يدعو إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له سبحانه، أمّا مذهبه في الفروع فهو على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، مثلما أنّ هناك أحنافًا سلفيّين، وشوافع سلفييّن، ومالكيّةً سلفيين.

وقد قال أحد سلاطين المغرب وهو السّلطان: محمّد بن عبد الله العلوي قال عن نفسه:" أنا وهّابيّ العقيدة مالكيّ المذهب"، وهو لا يقصد الوهبيّة الرُّستُمية، وإنّما يردُّ بذلك على من وَصَم دعوة التّوحيد الخالص لله بهذا النّعت، ومثله قال: عمران بن رضوان، وهو من علماء بلدة لنجه بإيران في الجهة الشّرقية من الخليج: أنا وهابيّ لما بلغته دعوة الإمام وهو حنفيُّ المذهب، وقيل شافعيٌّ، وقد مدحها بقصيدة منها هذا البيت:

[1] آثَارُ الإِمَام مُحَمَّد البَشِير الإِبْرَاهِيمِيّ: (124/1)، جمع: نجله أحمد طالب، دار الغرب الإسلاميّ، [ط: 1997/1م].

إنْ كَانَ تَابِعُ أَحْمدٍ مُتَوَهِّبًا فَأَنَا المُقِرُّ بِأَنَّنِي وَهَّابِي

والأمير الصّنعاني–رحمه الله–: محمّد بن إسماعيل، وهو من اليمن، وكان وجيهًا عالما، ومع أنّ مذهبه الفقهيّ زيديّ فإنّه درس هذه الدّعوة وأحبّها ومدحها، ومدح الإمام بقصيدة بدأها بقوله:

سلامٌ عَلَى نَجْدٍ ومن حَلَّ في نَجْدِ وإن كان تسليمي على البُعدِ لا يُجدِي

ومثله الإمام الشّوكانيّ من اليمن أيضًا، والشّيخ محمّد تقيّ الدّين الهلالي المغربي–رحمه الله–يقول ضمن قصيدته:

نَسَبُوا إلى الوَهَّابِ خَيرَ عبادةٍ فَيَا حبَّذَا نَسَبِي إلى الوَهَّابِي

هذا، وأختم هذا البحث المتواضع، بالحمد والثّناء على المعزّ الرّافع، فالحمد لله الذي وفّقني لإكماله والفراغ من جمعه، وليس لي فيه إلّا الجمع والتّنسيق، والتّعليق والتّحقيق، مقدّمًا ومؤخّرًا، مُلخِّصًا ومخصِّرًا، واللهَ أسألُ لي وللإمام وأهل السنّة أجمع، ومن تمسّك بالحقّ أكتع، الرّحمة والإحسان، والفضل والامتنان، إنّ ربّي واسع العطاء، وجزيل السّخاء، وهو أهل التّقوى والمغفرة.

وقد تمّ الفراغ من تحرير هذا الردّ ليلة الاثنين

في العشرين من ذي القعدة 1437هـ.

وكتب أبو عبد الإله فارس لعيد

بن عمرو البجائي

–عفا الله عنه ولوالديه–